

التعليم المختلط

بقلم نسيم نصر

من مشاكل التربية في لبنان مشكلة يعود منشأها الى مطل العقد الثالث من القرن العشرين . وقد نشأت في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، اذ انفتحت الحياة العامة في كثير من بقاع الدنيا ، امام الفتاة فخرجت اليها وكان خروجها بدءا لتبدل جذري في كثير من وجوه العائلة والمجتمع . ولما كان لبنان نافذة الغرب على الشرق جغرافية وتاريخا كان لا بد له من ان يتعرض قبل سواه من الاقطار العربية ، لموجة خروج الفتاة الى الحياة العامة ، هذه الموجة التي اطلت علينا وكأنها تيار اجتماعي يأخذ بالاعماق من مفاهيمنا الاجتماعية ووسائلنا التربوية ، واساليبنا المدرسية .

وكان ، في مقدمة ما امتد اليه هذا التيار الاجتماعي ، ان ارتفع اهتمام الوالدين بتعليم البنات الى درجة اوشكت ان تتعادل ودرجة اهتمامهم بتعليم البنين . وفي هذه الزحمة من الاقبال على مناهل المعرفة ازداد عدد الطلاب والطالبات في لبنان زيادة اضطرت بعض الاهلين ، ممن قفزوا الى الصف الامامي في تطور النظرة الى البنين والبنات، الى الا يروا بأسا في ان تلتقي الفتاة والفتى، في مدرسة واحدة ، وعلى مقعد واحد . وكان بهذا الالتقاء بدء ما نحن في صدد الكلام عليه ، وهو التعليم المختلط .

نلم ، في هذا الحديث الذي نسوقه الان ، الالمامة عابرة بالتعليم المختلط في المرحلة الابتدائية الاولى ، فهي ليست من الخطورة او الخطر ، تربويا بحيث يخشى فيها شرا من المخالطة الجنسية . ولكن القواعد التربوية تفرض ، حتى في هذه المرحلة من الحداثة ، بعض الحيطة في المساعدة على تنمية الذوق ، الذي يأخذ طريقه الى الظهور ، بارزا عند البنت ، في سن ابكر منها عند الابن . فمزاج الانثى اسبق الى الاهتمام بالشكل وارهف عاطفة في التأثر بوسائل التربية . وهناك ، على ملاعب المدارس ، يجدر بالمربي ان يراقب بوادر هذه الفوارق بين الاناث والذكور من الاحداث .

اما المرحلة الابتدائية الثانية ، المعروفة في لبنان بمرحلة الابتدائي العالي ، او المرحلة التكميلية ، فهي نقطة الدائرة في تعميق النظرة الى التعليم المختلط . فطور التهيؤ الجنسي لدخول مرحلة الصبا والفتوة ادق اطوار العمر مشاعر واكثرها فجوات في النفس ، ولهذا هي اجدر مراحل التنشيء بالاهتمام التربوي النفسي . وهنا ، لا بد من الاشاره الى ان البنت ، الطالعة على الصبا ، ادق حالا واضيق مجالا من الابن ، الطالع على الشباب . ذلك لان الصبي يصدر ، في بدء طور المراهقة ، غالبا عن نزعة تحمله على استباق الخطى الى ادعاء الرجولة والعمل على الظهور بما استطاع اليه سبيلا من مظاهرها . ولان الصبية، في بدء طور المراهقة ايضا ، تصدر غالبا عن كبت يميل بها الى الاستخفاء والحياء . اذن هو مقبل على نضج الرجولة جريئا في السعي اليه ، وهي مقبلة على نضج الانوثة خائفة من الوصول اليه . وفي الجمع بين هاتين الاقبالتين على الحياة يجب ان يقف المربي ، العارف بما في نفسيهما من العوامل المتوازية المجاري الطبيعية ، المتدافعة في الاحكام الاجتماعية ، موقف العالم النفسي يؤالف ، في اعتدال بين جراة الفتى وخوف الفتاة . ثم انه لا بد من الاشارة الى ما يجب ان يتم من تساند بين جهد الوالدين والمربين ، في القاء الضوء على هذه العوامل الجديدة الفاعلة في الكيانين الجنسيين . ومن الخطأ الفادح ان تستمر مفاهيمنا العائلية والمدرسية على سرية هذه التطورات الجذرية في الحياة الجنسية ، بعد ان خرجت المراة الى الحياة خروج الرجل ، حتى الى مهمة الجندية في بعض البلاد ، وفي بعض الحالات الطارئة . ولكثرة ما يبدو على المراهق والمراهقة من شدة التأثر بالطور الذي يبدآنه يبدو للمراقب ان الحؤول دون الجمع بينهما اجدى لهما وابعد بهما عن مزالق الصبا . غير ان هذه المراقبة الخارجية لا قيمة للمحاذير التي تفرضها ، لان ما يجري في النفس لا ينفع فيه الوقاء الخارجي . ولقد ثبت بالتجربة ان الطفرة الجنسية ، عند مداخل الشباب، لا يؤمن خطرها بالكبت والحجز ، ولا بأية وسيلة من وسائل الشدة ، وانما الحاجة في هذه السن الى رياضة نفسية خلقية تربوية تقوم بجعل المؤالفة الجنسية وسيلة لتهدئة القلق الداخلي . وقد تكون المدرسة المختلطة خير وسط تحدث فيه هذه الرياضة باشراف ذوي العلم والتجربة ، اذ ان الاوساط العائلية ، في لبنان ، لم تبلغ ، في معظمها ، درجة مرضية من الاهلية للقيام بهذا الحدث التربوي الخطير .

وهذه الرياضة التربوية ، التي تبدأ في المرحلة التكميلية ، يجب ان تستمر في المرحلة الثانوية مستندة الى ما تكون شخصية الفتى او الفتاة قد استزادته من معرفة واكتسبته من التمرس بالطور الذي اطل بها على الشباب . واستنادا الى هذه الحصيلة التي يكون قد احرزها من دخل الثانوية من الجنسين ، يرى بعض المتحفظين لطفرة الصبا الاولى ان يتنازلوا عن تحفظهم فيجيزوا التعليم المختلط ، في حين هم لا يقرونه في

المرحلة التكميلية . ولكن هذا التحفظ كان يجب ان يتنازلوا عنه منذ الخطوة الاولى في دروب الصبا ، لان الاختلاط الجنسي واقع طبيعي ، والمراقبة التربوية واجبة في كل ادوار التنشيء لا في دور منه دون اخر . وبما ان بوادر الانحرافات الجنسية تبدا غالبا في الرابعة او الخامسة عشرة ، فلماذا تغفل أمر السهر عليها الى الثامنة عشرة ؟ فهل يكون الحرص على حجب المراهقات عن المراهقين ضمانة تعصمهم من آفات الهوى المبكر ؟ ان قاعدة « كل ممنوع متبوع ، وكل محجوب مرغوب » أصدق ما يكون تطبيقها في الحياة الجنسية ، عند اعتاب الشباب ، ولما كانت نزعات الصبا طباعا فمن العبث قمعها . وفي مفاهيم التربية الحديثة ان افضل ما ينفع في طباع الناشىء لا يكون بالقمع ، وانما بالتقويم والتدميث والتهيئة لتحمل مسؤولية كل ما يصدر عن الذات .

واذا عني المربون عناية صحيحة برعاية التعليم المختلط اثمرت تلك العناية ثمارا كثيرة : منها الخلقي ومنها المعرفي .

أما الثمار الخلقية ففي مقدمتها الاحتشام والتأدب .

فكل من الجانبين يمسك نفسه عما يعيبه في السوية التهذيبية التي يجب ان تتوفر فيه ، ويتحامل على نفسه ليمسكها عن كل ما يدعو الى اتهامه في خلقه او سلوكه . وقديما قيل : « اهون على الشاب ان يذمه الف شاب ولا تذمه فتاة واحدة . » والعكس هو صحيح بالنسبة الى الفتاة ايضا .

•

ثم يأتي ، الى جانب الاحتشام والتأدب ، العناية بالشكل ، والاهتمام بالنظافة ، وبكل ما يستوفي اسباب النظام ، والترتيب ، واللياقة الاجتماعية .

واذا عدنا لنولي امر التحصيل المعرفي ما يستحقه من التقدير في مجالات التعليم المختلط بدا لنا ان السعي الى احراز الاعجاب الجنسي يشحذ الهمة ويضاعف الجهد .

وهكذا يتضح ان الجو المدرسي ، في نطاق التعليم المختلط ، اخصب نفسا ، واوفى درسا ، وادعى الى اسباب الحياة الحافلة بمفاهيم الحياة ، شرط ان يكون ذلك الجو في رعاية المربي الحديث .

نسيم نصر

ريو دي جنيرو

ايه يا دنيا من الحسن مهله
انت تاج للعواصم
من يراك
يتصباه بهاك
ويتمنى النفس بالسكره
من طيب سناك !

•

جنة انت من الافق مطله
مستريحه
فوق خلجان من السحر
فسيحه
فهناك « الكركفاد »
مد للنور ذراعين
من الحب الالهي
ليضم الكون للصدر
لافياء ابتهال في الشفاه
وهنا في البحر قائم
جبل السكر في جو
شفيف السحر غائم
حجب الوجه بمنديل ضبابه
وسهام الشمس شوقا
مزقت عنه نقابه
ساقنا الوجد اليه

في حنايا قفص بالغيم مشدود
معلق
يتسلق
ربوات من غمام
يتألق

•

وهنا « الكباكبانا »
كم تصبتنا وعاشت في رؤانا
وتمنينا مرارا
لو نراها
هي شط كالهلال
برمال ناصعات
خلقت للهمسات
من شفاه
تتشهى ظامئات
للهوى والقبلات
هي افق .. ومتاه
تتراءى في مداه
الفا فينوس نقيه
بطراوات شهيه
تتلوى فوق هاتيك الرمال

الشويفات فؤاد الخشن

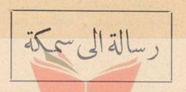
الغيمة الغريبة

بدر شاكر السياب

الموسُ الاجيرة الحقيره
اكثر من حبيبتي سخاءا ،
اتيتها مساءا
معانقا .. اعانق الهواءا
هب من القطب على الظهيره ،
مقبلا عيونها الخواءا ،
كانني كيشوت في الاصيل
يركض خلف ظله الطويل
ويطعن السنابل الكسيره
يظنها الاعداءا .
ضممت منها جثة بيضاءا
تكفنت من داخل ، وقبرها في جوفها تناءى ،
حملت منها صخرة صماءا
تشدني الى الثرى ، ارفعها لتلثم الجوزاءا .
الحب ان تبذل ، ان تنال ما تريد
كالنبع اذ يدفق ، لا كالبئر ،
كالنار تطوي نحوك السماءا
لا شرر الزناد .
استزيد
فالتقي دمي ، كغيمة تعيد نفسها للبحر .
اتعلم السحابة المرعدة المبرقة المجلجله
بان ماءها سيستحيل غيمة اليها مقبله ،
تبذله في الفجر
وتلتقي به قبيل العصر ؟
اريد أن اضم ،
ان اقبل الدم الذي ينبض في الشفاه
كانما القلب الذي يقبّل .
الجسد الموات لا يحس شهقة الاله
تفور كالمدية حين تقتل
فتبعث الحياة في القتيل .
اريد ان احرق كالحريق من اخيل (1) :
في القلب واليدين والكعبين
وياكل النار لظىً في عيني .
لو كان ما تحسه الحبيبه
الالم ، الدوار ، لا الخواءا
ما كنت مثل غيمة غريبه
ترعد حتى تشعل الهواءا
رعدا .
وتأبى الارض أن تجيبه !

البصرة ـ العراق

(1) احرقت ام أخيل ، حورية البحر ، طفلها اخيل لتحصنه ضد الموت .. الا كعب رجله



رسالة الى سمكة

بقلم عبد الرحمن البيك

كنت لا ازال في العاشرة من عمري عندمابدات الحياة تظلم في وجهي وتقف امامي كأنها الجدار الكبير ، ولقد كنت الى حين من الزمن لا اتصور ان تلك الاحداث يمكن ان تقع . ولكن الامور اخذت تجري على نحو لا يصدقه العقل .

كنت فتاة صغيرة اعيش مع امي وحيدة بعد ان تركنا ابي منذ اكثر من سنة وسافر الى فنزويلا .. ولقد كان سفره اشبه بجرح عميق لم يندمل .. اجل انه لكذلك .. فلقد امضيت شطرا كبيرا من حياتي متنقلة هنا وهناك احمل في مخيلتي صورة امي المسكينة .. واضرع من اجلها سرا ، ان يمنحها الخالق مغفرته ...

كان ابي قد اوصى بنا قبل سفره صديقه نعيم ... ولقد احببته بادىء الامر وتعلقت به .. ولكنني ما لبثت ان نفرت منه ، حينما بدات الاحظ تصرفاته التي كانت تنجم عن نية سيئة بالنسبة لي ولوالدتي .

لم يكن ذلك ليثير اهتمامي .. فلقد كان من السهل على اية طفلة ان تتبين تلك المعاني الجديدة وهي في سن الثانية عشرة ، ولكن الشيء الذي ارغمني على ان اشعر بالضيق هو وجودي في كنف ذلك الصديق الذي لم يعد يدخل الى قلبي الاطمئنان ، ذلك الاطمئنان الذي يلمسه الانسان بالفطرة منذ الحداثة ... حتى انكشفت على حين غرة نوايا ذلك الصديق في ذات ليلة حينما حضر وبرفقته شاب يافع اسمه فتح الله ، اذكر ان والدتي قد طلبت مني ان اشاركهم السهرة ، ولكن نظرات المدعو فتح الله اوقعت في قلبي فزعا شديدا فهممت بالانصراف لانقذ طفولتي ، انا الفتاة التي تطفو على موجات تؤرجحها هنا وهناك .. ولكن امي منعتني ، فجلست الى جانبها في خوف وعزة نفس وكان فتح الله يرمقني بنظرات ذات مغزى ،

وفي تلك الفترة ايقنت ان امي وقعت ايضا في حبائل نعيم . وازاء تلك المحاولة التي كانت تستهدفني اردت ان اقول ما يطوف في ذهني .. كنت اريد ان اقول لوالدتي ضارعة . .

« دعيني .. يا اماه ... ارجوك فأنا صغيرة ... صغيرة .. » ولكنني كنت الاحظ نظراتها الزاجرة فأتحاشى الاصطدام معها ، الى ان قطع الصمت نعيم وزعم ان ابي لقي مصرعه في زورق بخاري وهو ينقل الات النجارة . وكانت الانباء قد وردت وهي تحمل خبر هذه الكارثة ، وبين الضحايا بعض الشبان من ابناء حارتنا ..

تلقيت هذا الخبر ببرود ، لانني كنت احس ان اطرافي الجامدة لا تسمح لي بأن اعبر عن مشاعري . وكان فتح الله يحتال علي بتغيرات يحدثها في قسمات وجهه ، ومع ذلك فقد استطعت ان اهرب فصفقت الباب خلفي . وسمعت نعيم يحتج كما سمعت والدتي ترد عليه بقلب متمزق « نعيم .. الا تفهم .. انها ما تزال طفلة .. ثم انني حاولت كما ترى » ..

في صبيحة اليوم التالي سافرت الى عمتي في اريحا ، وكانت المدارس قد اغلقت ابوابها . وظهرت علائم الصيف في الحقول وعلى رؤوس



السنابل التي كانت تتماوج مع هبات الريح . كنت اطل من نافذة السيارة الى تلك الافاق المترامية فأحس وكأن والدتي تلحقني سيرا على الاقدام ... لا .. لم اعد اشعر بأي حنان نحوها رغم ان قلبي كان يتقطر الما من اجلها .. فكثيرا ما جلست قربها اتعمد حراستها ، ولكن نعيم كان يخدعني ويرسلني الى الدكان في شراء بعض السكاكر . حتى انه في الايام الاخيرة اخذ في احاديثه يلمح امامي عن المتعة وعن مواضيع اخرى ... فاضطررت الى هجر المنزل حيث قضيت اسبوعا كاملا عند جارنا ابراهيم . فكان هذا يعطف علي كل العطف ويؤكد لي انني في منزلة ابنته نوال ، ولكن هذا لم يكن ليقضي على مشاعر القلق التي كنت احسها ، ولكم كنت احسد نوال هذه ، اجل كنت احسدها على كل شيء ..

استقبلتني عمتي بوجه باش وسألتني عن صحة امي فأجبتها انها بخير وكتمت البكاء ، وكذلك سألتني عن اخبار ابي فلم امتلك نفسي ، وعندما اجهشت بالبكاء عرفت اي سر يكتنف مصيره .

لم تنم عمتي تلك الليلة ، واصبحت كثيرة الشرود ، ولكنها في الايام التي تلت وصولي اخذت ترعاني في حنو زائد حتى انها لم تكن تتوانى عن تقبيلي في صبيحة كل يوم ، واذ ذاك طابت لي المعيشة في كنفها .

وكانت عمتي هي الاخرى تعيش في كنف ابنتها .. تلك التي زوجتها من شاب طبيب يعمل في هذه البلدة . وقد وجدت ابنة عمتي في شخصي سلواها فهي لم تنجب مولودا . وكذلك زوجها عبد الله فقد اخذ يزعم انني اصبحت ابنته ويغدق علي من حبه الشيء الكثير ..

وهكذا وجدت والدين لم يكونا اقل نبلا من جارنا ابراهيم وزوجته ليلى ... ومع ذلك فلم استطع ان افرغ حبي لهما كما كنت افرغه لابي

ايام كنت في كنف محبته ورعايته . وقد حاولت ان اظهر لعمتي ولوالدي الجديدين خالص محبتي وكامل اخلاصي ، خصوصا وانني لم اعد افكر في العودة الى كنف امي . ولكنني كنت اشعر بتقصير كبير في اظهار حبي وولائي حتى شعرت عمتي بما ازحم نفسي فزعمت انني افضت بحبي واخلاصي وانه ليس هناك اي تقصير من جانبي . ولكن ذلك لم يكن ـ كما كنت اشعر ـ الا تهدئة لعواطفي الجياشة المتدفقة المبكرة التي تجد مجراها الطبيعي حيث يمكن لها ان تسير سيرها المعتاد . ومع ذلك فقد قبلت منهما هذه المجاملة وعشت معهما كاحسن ما تكون المعيشة .. حتى اذا ما بلغ الصيف نهايته شعرت ببعض الوحشة واحسست انه لا بد من العودة الى امي كي اعيش معها الشتاء وكي اواصل دراستي . ولما افصحت عن رغبتي هذه عارضني عبد الله واوصاني ان اقلع عن هذا التفكير ثم اظهر تطوعه لادخالي احدى المدارس، فرضيت بالامر وقضيت الشتاء ثم الربيع وقسطا من الصيف نسيت خلال تلك المدة كل شيء حتى ان امي المسكينة لم تعد تخطر ببالي .

وذات يوم بلغني ان رجلا عاد من فنزويلا ، فأعددت محفظتي وهممت بالسفر ، اذكر ان عبد الله قال لي كلمة رقيقة رجاني فيها الا اذهب ثم بكى ... وكذلك فعلت عمتي وابنتها ولكنني لم استطع ان اكبح جماح رغبتي في السفر لمقابلة ذلك الرجل فاندفعت نحو عبد الله وقبلته كما كنت اقبل ابي ووعدته بأن اعود اليه ثم سافرت ...

لما وصلت المدينة ذهبت فورا لاقابل امي، وصدري يتموج بمختلف الاحاسيس نحوها . فلقد قررت ان ابتسم في وجهها واسالها سؤالا واحدا ثم افترق عنها ولكنني حينما دخلت المنزل الذي كنا نعيش فيه وجدت فيه اناسا لا اعرفهم ، وسرعان ما ايقنت انها انتقلت الى مسكن اصغر ...

وفي الطريق صادفت فتح الله فأخذ يرمقني بنظرات غريبة ولكنها لينة ، واحسبني شعرت نحوه بشعور جديد فتقدمت منه وسألته عن امي بصوت يخنقه النشيج ، فقال لي بانها تسكن في قبو خلف مبنى مصلحة الاطفائية ، وان نعيم مات في منتصف الشتاء الفائت متأثرا من المرارة .

ولما قصدت المكان الذي تسكنه امي صادفت امراة مشعثة الشعر مغضنة اليدين والجبين هممت ان اسألها ان كانت تعرف امي ، ولكن الدهشة سرعان ما عقدت لساني حينما تبينت من خلال هذه السمات التي رسمتها الايام على وجهها ملامح امي بالذات . اجل انها كانت امي في هيئة جديدة ووجه متناسب مع القبو ومع الوحدة القاسية ..

قبلتني في برود وهي تبكي وتكفكف دموعها ، كانت رائحتها ... أقول الحق ... رائحتها غير مستحبة، وقد قدرت انها لم تغتسل منذ شهر، ولكن ما هو شعوري نحوها ، لقد احسست وهي تطوقني وتنزلني الدرج بأن نياط قلبي تنقطع .

وهجست بنفسي وانا اتفرس وجهها المصطنع « اهذا هو المصير » . وكانت هي تقول عبارات لم افهم لها معنى . وكنت ارنو الى طيف والدي في تلك اللحظات فاقول في نفسي « اين هي الامسيات الحلوة التي كنا نقضيها سوية في شارع النيال وفي طريق السليمانية ، اين ذلك الفقر السعيد الذي كنا نشكو منه ونتلظى من ناره، اين تلك التعاسة الحلوة التي كنا نتضور من لسعاتها ، اين تلك الاجرة الزهيدة التي كان يتقاضاها ابي من محل جرجس والتي كانت تجمعنا تحت سقف واحد ، اين تلك الاقاصيص المذهلة التي كان يسحرنا بها ؟ .. قصة السمكة الكبيرة التي تبتلع السمكات الصغيرات دون ان تبالي ... وكنت في اكثر الاحيان اسأله متعجبة الا يوجد يا ابت محاكم تحت البحار ... لماذا لا تحتج الاسماك الصغيرة ؟ لماذا لا ترفع صوتها ... وكان يرد علي قائلا بأن السمكة الكبيرة ما هي الا ذرة في الوجود بالنسبة لهذه السمكة الضخمة التي اسمها الحياة ... صحيح هذا فان اي انسان اذا ما نظر معي الى شعر امي الذهبي .. فانه لن يلبث حتى يتساءل : اين هو يا ترى .. »

اذكر انني بكيت بقلب متفجر وانا اهبط معها درجات القبو ، وكنت قد ضممت ذراعي بذراعها مستمسكة بها وكانت هي تتاملني وتبتسم ثم تخاطبني مزهوة وتقول بأن البستي نظيفة وشعري مصفف وقبة عنقي بيضاء وحذائي نظيف . وكذلك جوربي ، فكانت بذلك تزيد المي . غير انه مما ادمى قلبي واثخن جرحه وضع الغرفة التي كانت تعيش فيها.. انها اشبه شيء بالقبر .. في احدى زواياها كسرات خبز وفي الزاوية الاخرى هرة بيضاء بليدة ، تنتقل فوق الفراش القذر ببطء ، لشدة الرطوبة ، واشياء اخرى مما يلزم لمثل هذه العيشة .

راحت امي اثناء ذلك ، وانا شاردة الفكر ، تزعم انها مرضت خلال السنتين الماضيتين مرضا شديدا كلفها كثيرا من المال ، ثم ما لبثت حتى سالتني .. « ارايت كيف مات نعيم .. » فقلت لها وانا اتجاهل الخبر .. «هل حقا مات .. وكيف» فقالت « .. مات ... يكفي انه مات .. » ثم امسكت عن الكلام ولكنها ما لبثت ان انفجرت باكية وهي تقول : « لكم كنت اتمنى ان يبقى حيا .. اتسمعين ... كنت اقول له بانك لا بد من ان تغدين شابة فتتزوجين من شاب طيب يحميني. كنت اذكرك كثيرا ... بل كنت افخر بك لانك املي الوحيد » .

واستغرقت في حديث طويل كانت تجهش خلاله بالبكاء الشديد . وكان اشد ما يغيظها موت نعيم بهذه

السرعة ، فهي كانت تأمل بأن تثأر منه بأية وسيلة كانت .

وبعد ان غابت عن تفكيري سلسلة حديثها عدت لاسمعها تقول: «ولكن.. الا توافقيني على ان الموت كان قصاصا له .. انني احاول ان اعتقد ذلك .. ولكن ما الفائدة .. لقد جاء الموت متأخرا .. لان نعيم استطاع ان يشغلني مدة عامين لمآربه الخاصة ... حتى اصبحت الان امراة لا تصلح لشيء .. » وعندئذ قاطعتها وقلت لها .. « بل تصلحين ... اسمعي يا امي ... في الغد سنسافر الى عمتي ... وسوف تحيين هناك من جديد ... »

وشاهدت علائم الفرح تظهر على محياها ، وبريق الامل يومض في عينيها ، وحاولت ان تقول شيئا ما ولكن البكاء غلبها ، فاكتفت بأن ارسلت بضع زفرات .

ولقد شعرت بانه من واجبي ان اعيد بناء نفس امي .. تلك المرأة المسكينة التي احسست انها ما تزال بين فكي سمكة كبيرة ذات جوف واسع .. وقمت بمحاولة مجدية .. بدأت اقنعها بأنه لا ضير من ان تعيش معنا في اريحا . واحسب ان الفكرة اعجبتها فراحت تقبلني من جبهتي ، وبعد فترة قطعت لي وعدا بأنها سوف تلبي طلبي بالسفر ، غير انها عادت تقول .. بأنها لن تلبث حتى تعرف هناك ايضا .. فتسيء الى العائلة ..

احسست بأن الموضوع تشابك من جديد وانه لا امل في انقاذها فهي اشبه شيء بزورق تمزق على الصخور فطافت اخشابه وتفرقت هنا وهناك ...

قضيت ليلتي في بيت جارنا ابراهيم ، وكان في زيارته ليلتئذ ابنته نوال مع زوجها . كانت تبدو اكثر سعادة مما هي عليه عندما كانت عزباء ... ولشد ما فرحت لوجودي معها . وحينما سألتني عن مصير امي اجبت بانها تعيش مع عمتي في اريحا ، فازداد فرحها .. وازداد حزني ...

لبيت دعوة جارنا ابراهيم وامضيت في كنفه ما يقرب من اسبوع كنت ازور خلاله امي سرا كل يوم ، وعرفت اثناء ذلك انها مصابة بالسل .. فقد كانت صحتها تزداد سوءا يوما بعد يوم . واذ ذاك عرفت ان امي اصبحت في فم الموت ...

فكتبت الى صهر عمتي عبد الله اشرح له الامر واطلب معونته ولكن البريد تأخر زيادة عما هو متوقع ، فالتمست العذر من امي وودعتها ثم سافرت بنفسي لاعود بعبد الله ... وكان ذلك اخر لقاء جرى بيني وبينها . اذ ما كدت اعود برفقة عبد الله حتى كانت امي قد غادرت مسكنها الى مكان مجهول . وقد عجزت بعد ذلك من العثور عليها ... وكانت هي قد قالت لي قبل ان افترق عنها « وما الفائدة .. من سفرك الى اريحا .. انت تحاولين انقاذي بينما انا لا اريد .. » وحينما يئست من العثور عليها .. احسست بوحدة رهيبة تحيط بي ... وتخيلت المدينة وكأنها خاوية من سكانها .. وان الافاق تقاربت مع بعضها .. فهمت على وجهي الى ان وجدت نفسي امام عبد الله يضرع الي ان اثوب الى رشدي .. فعرفت اي قلب كبير يحمل هذا الرجل فاسلمت قياد نفسي اليه وسافرت معه الى اريحا . وانا احدق في الحقول ، وفي الافاق فاحس بأن في كل جزء من اجزائها طيف امي ..

حلب **عبد الرحمن البيك**

النشور

قال لي القلب فجأة في المساء :
ذاك حق الوفاء . ايه لماذا
لم اجبه . فقادني مذهولا
« اضللناه » ؟

لست ادري ولكن
هي السروة التي غرستها

انحنينا على الضريح لنلقي
فتعالى من جانبيه فحيح
نشر الحزن فجأة في المساء

« قم تضع زهرة على قبر حزنك
حجبت بالضباب آفاق عينيك ؟ »
ودرجنا على الرفات طويلا

تحت هذه الالواح اني دفنته
انملي في التراب حين لحدته

زهرة من ولائد الاضواء
بارد كارتعاشة استهزاء

حلب **علي ناصر**



محمد رجب البيومي

مأساة فيلسوف شهيد

بقلم محمد رجب البيومي

« في عدد اغسطس ١٩٦١ من الاديب حديث مقتضب عن هذا الفيلسوف الخطير ، وفي هذا المقال توضيح وتعليل واستشهاد »

اجل ، هو فيلسوف شهيد ، وقد خاف اعداؤه ان يسجل له التاريخ استشهاده العظيم ، فهبوا يصفونه بالفيلسوف القتيل ، كيلا يكون مصرعه المثير مثلا للبطولة الخارقة ، والعزيمة الابية ، ولكن هيهات !! فقد ذهب خصومه زبدا رابيا في خضم الزمن ، ومن بقيت له اثارة من حديث تلاك سيرته مشفوعة بالتلوم والاستغفار ، اما الرجل فقد نزل من قمم التاريخ في ذروة سامقة ، ينظر الناس الى علوها الشاهق ، من سفوحهم المتطامنة ، فيروعهم هذا الارتفاع البعيد !! ويقارنون بين مكانته السالفة في دنيا الرعاع ، ومنزلته اللاحقة في رحاب الزمن ، فيعلمون ان التاريخ ناقد بصير لا تخدعه الاراجيف الموهومة ، بل يزن الناس متجردا من حزازة المنافسة وغلواء الغيرة ، ثم يهيء لكل موضعه اللائق بموهبته وكفايته .

وقد علا مكان الفيلسوف من التاريخ بحيث تنحني له الرءوس خاشعة في محراب الالمعية المتوقدة ، والنبوغ الوهاج ، بل ان مصرعه الفاجع قد اضفى على سيرته لألاء ساطعا ، وغمر اثاره العلمية بعبير منعش يسري في الارواح الظامئة سري السلاف في الاعطاف .

لقد كانت مواهب الفيلسوف مثار الروعة والعجب ، ولم لا ، وقد رزق ذهنا لماحا ادرك بـه علوما كثيرة متنوعة فخاض الفلسفة والاصول وعالج مسائل الطب والكيمياء والجبر ، كما اوتي لسانا طلقا ساحرا بارع الحجة قوي الدليل ، وترك من المؤلفات — على قصر عمره — مباحث كثيرة تشرح ادق المسائل ، وتتخذ من الفلسفة والتصوف وعلم الكلام سبلا مختلفة للحديث ، ولو بسط له في العيش لاحتل في مجال التفكير الانساني قاطبة مكان القادة والموجهين ، ولكن مصباحه المتوهج قد انطفأ فجأة فخبا الضوء اللامع ، وغاب الشعاع النفاذ ! !

لقد انطفأ المصباح المتوهج غب مأساة دامية حزينة ، هي مأساة المفكر الحي المتوثب ، يسير انتاجه في الكون مسير الشمس ، فيغشى العيون ، ويثير كوامن الحقد في نفوس لا تقدر مواهب الله في مخلوقاته ، فتتجمع وتتكتل لتقذف التهم الآثمة ، وتتعدد المفتريات المجحفة ، ثم تتحشد وتتواثب لتقيم قيامة العامة ، ويموج الحشد الابله في مظاهرة صاخبة ، فيثير الاضطراب والبلبلة ، ويقيم الدنيا ويقعدها على راس المفكر الحي الوثاب ، ثم تحين المأساة ، فيجازى الرجل بما يجازى به القتلة من المجرمين والفجرة من المتوحشين !! واذ ذاك تهدأ العاصفة ، وينطفىء الحقد المتوقد ، ثم يتعاظم الصغار المهازيل ويشمخون ! ! بعد ان خلا الميدان العلمي من فارسه المحجل ، وبطله العظيم .

وقد اعتدنا ان نسمع من الكاتبين كثيرا عن استشهاد الفيلسوف الكبير سقراط ، وما قوبل به من خيانة وعقوق ، فهم يسوقونه مثلا رائعا للمفكر الحر ، ويذكرون كيف قضى ليلته الاخيرة في جدل علمي ماتع حول الروح والخلود والنعيم ، ومن يدرس استشهاد السهروردي يره سقراط اخر ، يقدم على الموت ببسالة فلا يأسى على انطفاء مصباحه ونضوب معينه في عنفوان شبابه ، ومقتبل الحياة ، مع ان الفيلسوف الاغريقي قد جاوز السبعين ، ورأى في عمره المديد ما بغض اليه الحياة والاحياء ، اما استخفاف السهروردي بالموت في نضارة العمر وربيع الشباب فمثل رائع لا يقاس بنظير ، اذا قورن بما كان يرتجى منه في ميدان النبوغ المبتكر ، واذا درست شخصيته النادرة من خلال مؤلفاته ، فعلم ما كان يزدحم في صدره من امال مورقة ، تقصفت اعوادها وبترت سيقانها ، تحت اعصار رهيب من الظلم والجحود ! !

نشأ شهاب الدين يحيى السهروردي ببلدة من اعمال اذربيجان ، بعراق العجم وقد شب طموحا للمعرفة ، مشغوفا بالدراسة والتحليل ، فتلقى العلم ، (بالمراغة) ودرس الحكمة والفقه على استاذه العظيم مجد الدين الجيلي ، الفقيه الاصولي المتكلم ، استاذ الفخر الرازي فانتفع بكثير من ارائه ، وتوجيهه ودرس معه العلوم النقلية دراسة شاملة ولكنه تطلع الى الفلسفة والمنطق ،

فضاقت المراغة بطموحه ، ولم يعد استاذه يشبع نهمه العقلي الطماح ، فارتحل الى اصبهان يبحث عن اساتذة المنطق ، ويتنقل في حلقات الفلسفة ، حتى انفتق نبوغه عن ذهن متألق وضاء ، فاعجب به أستاذه « الظهير الفارسي » واختصه بأسراره ، فقرا عليه كتاب البصائر في المنطق ، كما درس المشائية ، وترجم رسالة الطير الى اللسان الفارسي ! ! وامتزجت في تفكيره دراسة العلوم النقلية بالعقلية معا فخلقت منه فيلسوفا من طراز خاص !! كما كان للتأمل الباطني والاستشفاف الروحي امواج ثائرة تصطخب في خاطره ، فخلط الفلسفة بالتصوف ، وبنى مذهبه الصوفي على نظرية « الاشراق » اليونانية ، وقد توسع كثيرا فرجع بتصوفه الى عناصر اجنبية تتضمن لقاحا متشعب المنحنى والاتجاه ، وانتشر له دوي في مجتمعه ، فخطب وتصوف وتفلسف ، ونظم الشعر وخاض في الجدل والفقه والاصول ، واصبح بثقافته الواسعة يمثل جيلا كاملا من العلماء ! !

وقد ضاقت اصفهان بالرجل ايضا ! ! فرحل الى حلب تسبقه شهرته الواسعة ومؤلفاته العديدة ، فعرف فضله عالم كبير من جلة علمائها هو الشيخ افتخار الدين شيخ المدرسة العلمية بها ، فقربه واجتباه ، ونقل الى الملك الظاهر مديحه واطراده ، فاتصل به السهروردي ، وتوثقت الصلة بين السلطان والفيلسوف ، فاضافت الى مجده العلمي مجدا اخر ، وحاول الفقهاء مناقشته ، فوقفوا منه على ضفاف بحر زاخر جياش ، فقد تبوأ في علومهم النقلية منزلة لا يتطلعون اليها ، فاذا ضم الى ذلك ما يجهلونه من الدراسات العقلية المختلفة ، فقد بعدت عليهم الشقة وتعذر اللحاق ! !

وكانت الحروب الصليبية ــ لعهد السهروردي ، بدمشق وحلب ــ قد أفاضت على الشام روحا دينيا متوثبا ، فالعامة يحرصون على اسلامهم التليد ويرون الهجوم الصليبي ، دمارا ماحقا للشريعة المحمدية ، وبعض الفقهاء يستغلون هذا الشعور استغلالا يشبع الرغبات الذاتية ، والاهواء الشخصية ، فهم يقحمون مسائل الدين في كل امر ، ويتخذون من زعامتهم الروحية تكأة للكيد والتربص ، وقد نظروا الى الافق العلمي في بلادهم فهالهم ان يشرق في سمائه كوكب فارسي الالق ، وهو اذ يتوهج بالنور انما يضائل كثيرا من اقباسهم الخافتة ، فتنكمش ثم تتخاذل في مهب الرياح ، ولئن دامت له مكانته العلمية لسوف يهوى بما بقي من منازلهم لدى الناس الى قاع سحيق ، فعليهم ان يفحموا الرجل ويلجموه ، وقد جادلوه واعنتوه بالباطل فزاد مجده سطوعا ، وعظم دويه رنينا ، فانكفأوا يستلهمون الشيطان ضبابا يحجب الشمس ، وسحابا يطمس النور ، وقد اسعفهم الحقد باتهام هين يجد صداه لدى العامة ، وصخبه عند الغوغاء ، واذا كان الرجل قد كتب في الفلسفة وجادل في المنطق ، فعليهم

ان يتصيدوا من كتبه الفلسفية ما ينهض دليلا على زندقته ومروقه ، والعامة من ورائهم يشنون الحرب على الدين الجريح ! ! ويرسلون اللعنات على المنابر ، والصيحات فوق المآذن في صخب مريع .

ونحن نعلم ان مؤلفي الفلسفة يقفون كثيرا موقف المؤرخين ، فيسجلون في مؤلفاتهم ما سبق تداوله من الاراء حقا كان او باطلا ، ليحفظوا التراث الفلسفي من ناحية ، وليراقبوا تطوره العقلي من ناحية ثانية ، وقد يكون بعض هذا التراث باطلا يظهر تهافته ، ولكنه احدى حلقات البحث الفلسفي ، وله ثقله الهام في ميزان التطور المذهبي ، ومؤلف « فيلسوف » كالسهروردي لا بد ان يذكر بعض هذه الفلسفات التي تناقض الدين لتأخذ مكانها الزمني في بحثه واستنتاجه ، وقد يعقب عليها بالنقض والتجريح وقد يدعها تصيح بفسادها الواضح في اذن القارىء البصير !! وهنا مربض الخطر ، ومكان الانتقام ، فقد تصيد المغرضون من اراء الفلاسفة ما ينهض بحجتهم في ملأ لا يفهمون النثر الادبي ، بله المنطق الفلسفي النظري ، ثم ذهبوا يوضحونه توضيحا يشهد بالاثم والعقوق ، وقد تم لهم ما ارادوه ، ووقف المفكر اللامع ينظر مدهوشا الى قطيع يساق وينحدر الى الصخب والجلبة دون تمييز صائب او فقه بصير . ونحن نتساءل فنقول ، ما اللباب الاصيل بفلسفة الرجل ، وعلى اي شيء بنى مذهبه الروحي ؟ فاذا اردنا الجواب فلن نعالج بالبيان الادبي مذهبا فلسفيا تجني على حقائقه العلمية نصاعة الاسلوب ، وورق الديباجة ، ولكننا ننقل عن صاحب كشف الظنون حقيقة مذهب الرجل اذ يقول « ان للدين والفلسفة موضوعا واحدا ، وهو الخير الاسمى ، الذي هو فضيلة وسعادة معا ، ومعرفة هذا الخير الاسمى تتضمن معرفة الله وصفاته وتنزيهه ، وهذه المعرفة يمكن ان تحصل من طريقتين ، احداهما طريقة النظر ، وثانيتهما طريق الزهد والذوق الصوفي ، والذين يسلكون الطريق الثاني اذا كانوا يعتقدون الاسلام ويستغلون تعاليمه على اوجه الاستغلال فهم الصوفية ، اما اذا لم يكونوا كذلك ، وكانوا يصطنعون الذوق ، ويأتون في مذاهبهم بما يتنافى واحكام الشرع فهم الاشراقيون » .

هذه الاراء وامثالها كانت شائعة معروفة في الاوساط العلمية ، وقد جاهر كثير من المتصوفة في الاسلام بآراء لا تنبع من تعاليمه ، بل جاءت مزيجا من الثقافة الهندية والاغريقية والمسيحية ، فكانت تثير مناقشات حامية بين الفقهاء والمتصوفة من ناحية نقلية ، وبين المتكلمين والمتصوفة من ناحية عقلية ، ولئن هوجم الشبلي والبسطامي وابن الفارض والجنيد وسهل التستري وابي الحسن الشاذلي على اختلاف مشاربهم الصوفية ، فقد كان لهم ــ مع خصومهم الالداء ــ اعوان يذبون عنهم بالقوة ، ويحوطون مواقفهم بالمؤازرة ، ولم يقتل من المتصوفة على

كثرة شطحاتهم الغريبة غير عظيمين كبيرين ، هما الحلاج والسهروردي ، وكلا الرجلين اعدم متهما بالكفر والمروق في منطق العامة والرؤساء ، ولكن التاريخ يذكر باسانيده الثابتة ، ان الخداع السياسي مع الحلاج ، والحقد الشخصي مع السهروردي كانا — وحدهما — الباعث على الاغتيال والاعدام ، دون نظر الى راي شاذ ، او تصوف جامح شموس .

على ان السهروردي لم يعدم من اعوان الحق فقهاء يظاهرونه في محنته ، الا ان اصواتهم الخافتة قد تلاشت في محيط يزخر بلجب العامة ، وصيحات الرعاع ، فتطايرت الانباء الى صلاح الدين الايوبي بالقاهرة معلنة ان ولده الملك الظاهر قد اجتبى فيلسوفا ملحدا زنديقا ! ! وان مظاهرات الاحتجاج تنهض بين الحين والاخر في افاق حلب واراد السلطان الغيور ان يطفىء اللهب المشتعل فامر ولده بمحاكمة الفيلسوف وابعاده وقد اطمان الملك الظاهر الى علم صاحبه وقوة منطقه ، فامر بتشكيل محكمة علمية يصدر فيها الفقهاء حكمهم عن اقتناع وبرهان ، وفاته ان الخصم لا يكون حكما ، والا تغلب الهوى ؛ وجمحت العاطفة ، وهذا ما كان !!

سار الفيلسوف الى المحاكمة مرفوع الراس موفور الثقة وقد ظن ان النقاش سيدور في مسالة شائكة ، مما اثاره في بعض كتبه الفلسفية ، كحكمة الاشراق ، او هياكل النور ، او المعارج ، او اللمحة ، او المطارحات ، او المقامات ، او الالواح ، الى غير هذه الكنوز التي تضمنت اثمن ما وعاه العقل الانساني من معان ، وقد سطرها صاحبها في سن مبكرة فأدهش وراع ! ! هذه النفائس الخالدة التي تقف عقول الكثرة الكاثرة من المثقفين ازاءها كما يقف الطفل الصغير على ساحل محيط جياش اللجج دفاق الموج ، وقد كان اعضاء المحاكمة اطفالا ، فلم يخوضوا شبرا واحدا من المحيط ، ولووا اعناقهم عن الموج الجائش والطوفان الغامر ، وتناظروا في مسالة هينة يكفي الفصل فيها بكلمات يسيرة ، لو عدل الحاكم المغرض ، فانصف البريء ! ؟

قال رئيس المحاكمة : لقد قلت في بعض تصانيفك ان الله قادر على ان يخلق نبيا ، وهذا مستحيل .

فقال السهروردي : لا حد لقوة الله فان القادر اذا اراد شيئا لا يمتنع عليه .

قال الرئيس : ان الله قادر على كل شيء الا على خلق نبي فيستحيل .

فأجاب الفيلسوف : ايستحيل الخلق مطلقا ام لا ؟ !

وما فاه المتهم بهذا السؤال حتى قامت عليه القيامة ؟ وصاح الصائحون ، كفر الرجل كفر الزنديق ! ! مع ان توجيه السؤال يشعر بما يفض النزاع ، ويحسم الخلاف ، فالسهروردي يريد ان يقول : ان امكان الخلق جائز بالقوة لا بالفعل ! ! وهذا ما عناه بالاطلاق وعدمه ، ومن يلم بقليل من علم المنطق يدرك ان خلق النبي بالقوة امر لا جدل فيه ولكن هكذا تعشى العيون عن الصواب .

اي نقاش هذا الذي يبدءون فيه ويعيدون ؟ ثم يصدرون الحكم باعدام الفيلسوف ! ويحرصون على ان يوصف بالمقتول كيلا يتطرق استشهاده على ذهن يحاول الانصاف!! وقد اضطر الملك الظاهر الى تنفيذ الحكم ، طاعة لامر والده ، وترك الفيلسوف يختار ميتته بارادته ، فماذا صنع المسكين ؟ ؟

لقد اختار ان تقفل عليه حجرته في محبسه الدامس ، ويترك بدون طعام او شراب ، حتى يموت صبرا فيهرا الجوع والظمأ احشاءه الطاوية بمثل الخناجر المسمومة ساعات اية ساعات ! ! فيا لها ميتة قاسية يختارها متصوف زاهد الف المجاهدة والحرمان ، وتدرب على الجوع والظمأ مرتفعا بروحه فوق مطالب الجسد ، ورغائب الغريزة ؛ ليخلص من الشوائب والاثقال ، لقد اختار سقراط قبله السم العاجل ليلفظ انفاسه في لحظات ، اما السهروردي فقد آثر ان يتعذب عذابا بطيئا يمتد الى ايام وليال ، فيصل الى ملئه الاعلى وقد خلع عنه اوضاره المهلكات !!

ولقد حاول الفقهاء تشويه عقيدته — في مباحثهم — بعد مصرعه ولكنه وجد من التاريخ انصافا حميدا ، فها هوذا صاحب روضات الجنبات يقول عنه : « الشيخ المعظم ، والفيلسوف المكرم ، العالم الرباني ، والمتاله الروحاني ، كان في المكاشفات الربانية امة ، والمشاهدات الروحانية نهاية كما يقول صاحب طبقات الاطباء عنه : كان اوحد زمانه في العلوم والحكمة جامعا للعلوم الفلسفية ، بارعا في الاصول الفقهية ، مفرط الذكاء ، فصيح العبارة ، ولكن كان علمه اكثر من عقله ! ! »

ويقول ياقوت : كان السهروردي فقيها اصوليا اديبا شاعرا ، حكيما ، نظارا ، لم يناظر مناظرا الا افحمه ! !

وقد اخذ حظا وافرا من دراسة المستشرقين ، فعرضوا مضايق حياته ، وحللوا عناصر مذهبه ، وناقشوا مقدمات فلسفته ، ولكن بعضهم يسير بالفروض المتحملة الى غاية مخطئة ، فيزعم « فون كريمر » و « هورتن » ان الرجل كان يعتنق المذهب الباطني بدليل قوله في مقدمة حكمة الاشراق : « العالم ما خلا قط عن الحكمة وعن شخص قائم بها . عنده الحجج والبينات » .

ونحن نرى ان هذا الزعم لا يستند الى دليل صحيح ، فلو كان الرجل باطنيا لما احتاج الفقهاء الى تاليب الجمهور عليه في زمان صلاح الدين الذي تعقب الباطنيين تعقبا ماحقا ، بل كانت باطنيته — ان صحت — سببا هينا لاستئصال شأفته دون مناظرة ومحاكمة وجدل ، ولم نسمع احدا من الفقهاء ، قد اتهمه بذلك وهم احرص الناس على تشويه عقيدته!! اما هذا النص المأخوذ من كتابه فلا يعني غير اتصال الابحاث الفكرية والحقائق الخالدة وانتقالها من جيل الى جيل على يد العلماء ، وهو بذلك يقصد نفسه

حنين

حنيي اليك ، وحزني عليك
حديث طويل ، وجرح أليم
فلست لانسى السنين الطوال ،
ولست لاسلو الصديق الحميم
وكيف السلو ، وقلبي مقر
لروحك ، بعد الفراق المشوم ؟

يثور بصدري نداء ابح ،
صباح مساء ، كنوح الفطيم
فاوهم نفسي بانك باق
هناك ، بركنك ، عند الحطيم
ومالي اليك سبيل ، لانني
انوف ، وحولك جمع لئيم

اخاف عليك صغار النفوس ،
ضعاف العقول ، وكل رميم
وتخشى علي جفاء البعيد
وبغض القريب ، وحقد الزنيم
وتجمع بيني وبينك قربى
الحقيقة ... فهي الرباط القويم

تراني « قمة مجد » بنيت
وتحسب اني « ولي » عميم
فيرعد قولك هذا ويبرق ،
حتى لتعمى عيون الخصوم
ويغلي ، بصدر الحسود الحقود

فيهدم مجدا عريقا قديم !

فليتك تعلم اني هجرتك
كيلا اصدع بيتي الصميم !
وأوقي ولدي فساد العشير ،
وشر المريض ، ولؤم السليم !

وطال اغترابك ... حتى حسبت
بعادك عني ... جفاء الخصيم
فجئت اليك ، ابثك حبي
وهمي الكبير ... وحزني العظيم !
فكنت عذيرا ، وكنت رحيما
بخشية هذا العذير الرحيم
ورحت تثبت مني العزائم
كيلا اعود لليلي ... البهيم
وحسبي منك رضاء يضمخ
عمري ، فتهفو اليه النجوم !

ومالي عنك اصطبار ، ولكن
عجبت لهجرك هذا النديم
وان حنيني اليك ليغدو
حنين اليتيم لصدر رؤوم
وحزني عليك طويل عميق ،
يضج بصدري انينا أليم !

رشاد دارغوث

مع من سبقه من الفلاسفة ، من لدن سقراط ، فكيف نحمل على الرجل ادعاءات جديدة !! غير ما وجه اليه من افتراء .

لقد كان الفيلسوف متعاليا متعاظما ، وهذا مجال النقد في خلقه ولعله قاس معاصريه من الفقهاء بمقياس اطلاعه ، فلم يلووا على شيء !! وما ورد عنه من قوله للامدي : « لقد رايت في المنام باني شربت ماء البحر كله . او ملكت الارض » فلا يخرج عن المجاز الدال على سعة العلم ، وغزارة المادة . وللصوفية في كل العصور رموز مبهمة » واشارات غامضة تتطلب الايضاح اذ يذهبون مع الالفاظ مذهبا لا يقتضيه مدلولها اللغوي الصريح ، لا سيما فيما يتعلق بالذات العلية ، حيث تتجه سهام النقد والتجريح ، وقد قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري الشافعي في فتواه عن عقيدة ابن الفارض « يحمل كلام هذا العارف ــ رحمه الله ونفع ببركاته ــ على اصطلاح اهل طريقته ، اذ ان اللفظ المصطلح عليه حقيقة في معناه الاصطلاحي ، مجاز في غيره كما هو مقرر في محله ، ولا ينظر الى ما يوهمه تعبيره في ابيات التائية من القول بالحلول والاتحاد ، فانه ليس من ذلك في شيء !! وهذا يصدر عن العارف اذا استغرق في بحر التوحيد والعرفان، بحيث تضمحل ذاته في ذاته ، وصفاته في صفاته ، ويغيب عما سواه » .

ونحن نقول : هل يسع عمر بن الفارض ما لا يسع السهروردي ، فيعترف للاول بالامامة الروحية ، ويتوافد الملوك والسلاطين على موكبه ، بينما يلاقي الثاني حتفه في ظلمات الجحود والكفران ، واذا جاز ذلك في قوم ملأت قلوبهم الحزازات والاحقاد ، افيجوز ان ينتقل الى باحات التاريخ !! وهو الذي يقوم المعوج ، ويمحص الحق ويدحض الاكاذيب !!

الفيوم ــ ج٠ع٠م٠ **محمد رجب البيومي**

رسالة الى العقاد

يا واحدَ الكُتَّابِ والأدبِ   سكَنَتْ فنونُكَ موطنَ الشُّهُبِ

من غيرِ أن تنقضَّ شُعلتُها   إلا على مَنْ جدَّ في السَّلَبِ

سبعونَ عاماً حَشْحَشَتْ طلَباً   عُمْرَ الخُلودِ وأنتَ في الطَّلَبِ

ويَراعةٌ بشباتِها نَتجَتْ   لكَ في الدُّنى مِئَةً مِنَ الكُتُبِ

قالوا هو (العقّاد) فارتفعَتْ   أعناقُ آلافٍ من الحِقَبِ

الماردُ الجبَّارُ منفَرِدٌ   وكأنَّهُ في عَسْكَرٍ لَجِبِ

يا مِنْحَةَ العصرِ الحديثِ لنا   كاثرتُ فيكَ عوالِمَ النجبِ

وقطفتُ من نيسانَ زهرتَه   يهفو بها بردى بمنسَكِبِ

لتجيءَ شَطَّ النيلِ وارفةً   تهدي هَوايَ بشَوقِهِ الطَّرِبِ

* * *

أطريتَ آدابي وقد وردتْ   منِّي الحروبُ بشِعْرِها الحربِ (١)

فملأتَ أعطافي برائعةٍ   أزْهى بها في ثوبِها الذَّهبِ

يا حاميَ الافكارِ في قَلَمٍ   هو بالبيانِ مؤلِّفُ العَرَبِ

تأوي لمجْدِكَ كلُّ سابقةٍ   صاحتْ بها الاحرارُ في الخُطَبِ

* * *

وسوسْتُ بالاشعارِ أحفزُها   لتطولَ مجدَكَ والعُلى أرَبي

يا مَنْ سكَبْتَ الشِّعْرَ صافيةً   أنغامُهُ وعلوتَ في النَّسبِ

خفرَ الحُماةُ عهودَهُ فأتتْ   جُهَّالُهُ تَفْريه باللَّعبِ

مِحَنٌ نزَلْنَ بساحِهِ ولقدْ   صاحَ النَّذيرُ بسوءِ منقلبِ

بكَ نجدَةُ الفنِّ المهيضِ وذا   صَوْتُ الغياثِ بمنقذِ الادبِ

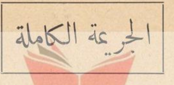
دمشق   **زكي المحاسني**

(١) اشارة الى مقال العقاد عن كتاب المحاسني « شعر الحرب في ادب العرب » راجع المقال في « الاديب » عدد فبراير ١٩٦٢ .

البرتو مورافيا ... كاتب ايطالي يعد اليوم من طليعة كتاب العالم . ولد في روما عام ١٩٠٧ لاب مهندس معماري . وعانى من مرض ازمن في سنوات عمره من التاسعة حتى العشرين . تعلم اللغات الفرنسية والالمانية والانكليزية وهو في سن الطفولة ، وكتب اولى رواياته في عام ١٩٢٥ ، حيث كان مراسلا اجنبيا في لندن وباريس وغيرها من عواصم اوروبا لصحيفتي « لا ستمبا » و « لا جازتاد لبوبولو » . وفي السنوات الاخيرة من حكم الفاشية تعرضت كتبه للمصادرة مما اضطره لتحرير مقالاته باسم مستعار . وابان الاحتلال الالماني لايطاليا اخذ يختبيء في الجبال حتى جاءته الحرية في مايو عام ١٩٤٤ . يقضي الان حياته متنقلا بين روما وجزيرة كابري . من مؤلفاته : « امراة من روما » ، « مراهقان » . « شبح في الظهر » ، « اقاصيص رومانية » ، « شهر العسل المر » ، «امراتان» «عربة الحياة الزوجية» . اشتهر بكتاباته الجنسية ، ولكنه في هذه القصة القصيرة يكتب بعيدا عن الجنس .

* * *

كان الامر اقوى مني ، ففي كل وقت اتعرف بفتاة ، كنت اقدمها الى « ريجامونتي » . وكان هو بدوره يحملها ـ بانتظام ـ بعيدا عني . ربما كنت افعل ذلك لاشعره بانني لدي نفس الرواج مع النساء كما لديه . او ربما لانني لم اكن استطيع ان اتصور شرا فيه . وفي كل وقت كنت اعود مرة ثانية واعامله كصديق، رغم سطواته السابقة . وكان من الممكن ان اكتشف ذلك بسهولة اكثر لو كان في تصرفه بعض الحرص ولكان هذا سببا معقولا، ولكنه كان يتصرف ببراءة تامة ، وكانما الموضوع لايعنيني اطلاقا . فهو يصل الى حد مغازلة الفتاة في وجودي ، وتحديد المواعيد معها امام انفي . وفي حالات كهذه ـ كما هو معروف ـ ينتصر الشخص الذي يسلك سلوكا افضل ، فبينما يتصرف هو بلا تردد وفي سلام ليصل لغرضه اقف انا جانبا بهدوء خشية ان اغضب وافتعل عراكا ويكون هذا نوعا من عدم الاحترام نحو السيدة الصغيرة . احتججت مرة او مرتين ، ولكن بطريقة متخوفة ، لانني لا استطيع ان اعبر عن مشاعري جيدا . وبينما اغلي في داخلي من شدة الغضب ، اظل محتفظا بمظهري الخارجي باردا ، حتى انه لا احد يتصور انني غاضب . هل تعرف بماذا يجيب ؟ « لم نفسك ، ولا تلومني .. اذا فضلتني الفتاة ، فان هذا يعني انني اعرف كيف ادير الحديث افضل منك » وكان هـذا



تاليف البرتو مورافيا
ترجمة احمد محمد عطية

صديقا، كما كان هو بتكوينه الجسماني طبيعيا افضل مني . وكان حريصا حتى انه كان يترك صديقاتك وحدهن حتى يتحقق من انه صديق صدوق.

وحتى اختصر هذه القصة الطويلة اقول: بعد ان لعب خدعته هذه علي اربع او خمس مرات ، بدات اكرهه بشدة ، حتى انني ـ في الحان الذي نعمل فيه سويا ـ تعودت الحرص على ان اقف بعيدا عنه اومديرا ظهري له حتى لا اراه ، وحتى عندما نكون معا بجانب ماكينة دفع النقود او ونحن نخدم نفس الزبائن . وفي هذا الوقت ، فكرت مليا فيه ، وفيما يشبهه ، وتحققت من



انني لا استطيع ان اضربه لمدة طويلة. كرهته للغاية ، كرهت وجهه بجبهته المنخفضة ، وعينيه الصغيرتين ، وانفه الكبير المعقوف ، وشفتيه الغليظتين ، وشاربه الخفيف. كرهت شعره الذي يشبه غطاء الراس ، الاسود اللامع ، بخصلتين طويلتين ممتدتين بسالفين الى خلف رقبته . كرهت ذراعيه المشعرين اللذين يعرضهما كلما وقف يدير ماكينة القهوة . وفوق كل هذا انفه الذي يرعبني . كان عريضا عند الخياشيم ومقوسا غليظا ، اصفر في منتصف وجهه الاحمر حتى ليبدو كان العظمة قد دفعت الجلد . وطالما فكرت في تسديد لكمة يمنى الى ذلك الانف ، واسمع العظمة تتشرخ تحت قبضتي . لكن ذلك كان حلما ، لانني كنت صغيرا وضعيفا، ويستطيع « ريجامونتي » طرحي ارضا باصبع واحد .

لا اعرف كيف كان ذلك عندما بدات افكر في قتله، ربما يرجع بتاريخه الى الليلة التي ذهبنا فيها معا لنشهد فيلما امريكيا اسمه «الجريمةالكاملة» وحتى اكون دقيقا ، لم اكن في باديء الامر اريد قتله ، كنت اتصور فحسب كيف سانصرف لافعل هذا . وقد جعلني ذلك مبتهجا كلما فكرت فيه في الليل قبل ذهابي لانام وفي الصباح قبل نهوضي من الفراش ، و ـ آه نعم ، بالتاكيد ـ في النهار ايضا ، عندما لم يكن هناك ما افعله في الحان وكان « ريجامونتي » جالسا على مقعد بجانب ماكينة دفع النقود يقرا الصحيفة ، وراسه المدهونة جيدا منحنية فوق الصفحة. واعتدت ان افكر « سأتناول الان الهاون الذي نستعمله في كسر الثلج واضربه به على راسه ، » ولكني كنت بالطبع امرح فحسب . في الحقيقة كنت كالغارق في الحب يفكر طول النهار في المراة ويتخيل الاحاديث التي يود ان يقولها لها . وفي حالته ، كان الفرق فقط في ان « ريجامونتي »

اخذ مكان القلب الحلو ، وتحولت البهجة التي يجدها الاخرون في قبلات واحضان خيالية ، الى احلام لقتله .

وظل الامر في حدود المرح، ولانني ابتهجت كثيرا ، في ذلك ، رسمت خطة خيالية بكل تفاصيلها . ولكن عندما اكملت هذه الخطة ، وجدت نفسي مجبرا على محاولة تجربتها ، وكانت المحاولة قوية للغاية حتى انني اوقفت رغبتي في مقاومتها واعددت ذهني لبدء التنفيذ ورغم ان تصميمه على التنفيذ ربما لم يكن تماما لكني وجدت نفسي مشغولا في التنفيذ عندما اعتقدت انني ما زلت مستجيبا لتصوراتي ، قمت بكل شيء طبيعي ، وبدون مجهود ، وبطريقة بعيدة عن العنف ، وغير ملحوظة غالبا .

عندئذ ، بدات اخبره ، بين كل فنجان قهوة والاخر - انني تعرفت بفتاة محبوبة جدا ، وانها في هذه المرة ليست كسائر الفتيات اللائي احببتهن واللائي اقتنصهن مني ، بل هي فتاة القت عليه نظرة طيبة ، وارادته هو وحده ولا احد سواه . وكررت هذا له يوما بعد يوم لمدة اسبوع ، مضيفا تفاصيل جديدة في كل مرة الى موضوع هذا الحب المشتعل ومدعيا الظهور بمظهر الغيور . وفي بادىء الامر كان يحاول التظاهر وعدم التأثر ، وقال : « اذا كانت تحبني ، فيمكنها ان تحضر الى الحان ... فسأقف معها لنشرب فنجانا من القهوة» لكنه بدا في الحال يفقد اعصابه . ففي كل آن وآخر ، كان يتظاهر بانه يمزح ، ويسأل : « والان قل لي - هذه الفتاة .... هل ما زالت تحبني ؟ » فأجيب : « بالطبع هي تحبك ، » « وما الذي تقوله ؟ » « تقول انها تجدك جذابا جدا . » « لكن بأي طريقة ؟ ما الذي تجده جذابا في ؟ » « كل شيء - انفك ، شعرك ، عيناك ، فمك ، والطريقة التي تدير بها ماكينة القهوة ... اقول لك كل شيء ... »

هذه الاشياء كلها في الحقيقة هي التي جعلتني اكرهه - وكان يمكن ان اقتله من اجلها ، هذه الاشياء كلها ادعيت انها ادارت راس الفتاة التي اخترعتها . فابتسم وملأه الزهو والكبرياء ، لانه كان غبيا غباء مطلقا ويعتقد ان العالم خلق له. ويمكنك ان ترى كيف كان عقله الغبي ممتلئا بهذه الفكرة ولا شيء غيرها ، وانه كان يريد مقابلة الفتاة ولا يمنعه من سؤالي سوى كبرياؤه . وفي آخر احد الايام ، قال لي بغضب : « انظر الي الان ... اما ان تقدمها لي ، او تكف عن التحدث عنها . وكنت انتظر هذه الكلمات ، فضربت له موعدا في الحال في الليلة التالية .

كانت خطتي بسيطة . نحن نغلق الحان في الساعة العاشرة ، لكن صاحب الحان يبقى فيه حتى العاشرة والنصف ليعمل حساباته . سآخذ « ريجامونتي » الى بقعة تحت جسر السكة الحديد « في فيتربو » ، واخبره بأن الفتاة ستنتظرنا هناك . في العاشرة والربع يمر القطار ، وسأستغل انا فرصة الضجة ، واطلق عليه رصاص مسدس « البرتا » الذي اشتريته من قبل في«بيازافيتوريو» . في العاشرة وعشرين دقيقة ساعود الى الحان لابحث عن حزمة نسيتها ، وبهذا سيراني صاحب الحان . في العاشرة والنصف على الاقل ساكون راقدا في فراشي في حجرة البواب في مجموعة الطوابق السكنية حيث اجر لي البواب سريرا خياميا في الليل . هذه الخطة نقلتها بتفاصيلها بالنص عن الفيلم وقد لاحظت بدقة توقيت حدوث الجريمة في نفس وقت مرور القطار . وكان من الممكن ببساطة الا تنجح ، وهذا في حالة احساسي بأني سيكشف امري . ولكني ساظل مكتفيا بأني عبرت عن كراهيتي . وبهذا الاكتفاء شعرت بانني مستعد حتى للقيام بعمل شاق.

وفي اليوم التالي ظللنا مشغولين جدا ، لانه كان يوم سبت ، وكان هذا شيئا حسنا ، لانه يعني انه لن يحدثني عن الفتاة كما انني لن يكون لدي وقت لافكر في الموضوع . وفي الساعة العاشرة خلعنا معاطفنا المشمعة - كالمعتاد والقينا تحية المساء على صاحب الحان ، وخرجنا من تحت البوابة المنخفضة لنصفها . يقع الحان في الطريق المؤدي الى : « اكوا اكيتوزا » ، على بعد خطوة واحدة من سكة حديد « فيتربو » . في هذه الساعة كانت حديقة الذكريات على التل الصغير المجاور قد غادرها اخر حبيبين ، ولم يكن هناك احد في الطريق المظلم تحت الاشجار . كنا في ابريل ، والهواء ناعم والسماء تصفو تدريجيا ، ورغم ذلك لم يكن القمر مرئيا بعد .

سرنا طوال الطريق ، ريجامونتي في احسن حالة معنوية ، مربتا على ظهري مشعرا اياي بالحماية بطريقته المعتادة ، وانا جامد ، يداي على صدري ، تضغطان على المسدس في الجيب الداخلي من معطفي وغادرنا الطريق عند نهايته وتحولنا الى ممر مزروع بالحشائش وجرينا تحت جسر السكة الحديد . وهناك عندما بلغنا الجسر ، كان المكان مظلما اكثر من اي مكان آخر ، وقد اخذت هذا في حسابي ايضا . سار «ريجامونتي» امامي وانا بجانبه . وعندما وصلنا المكان المحدد ، وكان غير بعيد عن مصباح كبير ، قلت « قالت لي ننتظرها هنا ... وسنرى ، انها ستحضر في لحظة . » فوقف واشعل سيجارة واجاب : « انت بارمان (رجل حان) رائع جدا ... ولكنك كشخص تنكمش بشكل غير متعادل» . وكان في الحقيقة يهاجمني كما اعتاد ان يفعل معي .

كانت بقعة منعزلة تماما ، وما ان ارتفع القمر بجانبنا حتى اضاء الارض الممتدة تحتنا ، المغلفة بطبقة سميكة من الضباب الابيض وبشرائط من الهواء الرملي على التلال المنخفضة هنا وهناك وعلى الاسلاك لفة بعد

لفة ، بادية مثل الفضة . وبدا لي كأني احس برعدة من الضباب الرطب وقلت « لريجامونتي » « انها لا يمكنها بالطبع ان تحضر في الموعد بالضبط ... فانها في الخدمة وعليها ان تنتظر حتى ينصرف موظفوها . » قلت ذلك لصالحي اكثر من طمانينته . فأجاب بلهجة قاطعة : « لا ، لا ، ها هي . » فاستدرت وشاهدت الشبح الاسود لامراة قادمة نحونا عبر الممر .

عرفت فيما بعد ان هذا المكان كانت تطرقه النساء من ذلك النوع في مقابلاتهن مع زبائنهن ، لكني لم اكن اعرف هذا ، وفكرت في الحال ان الفتاة غالبا لم تخترع بواسطتي بل هي موجودة فعلا . اثناء ذلك كان « ريجامونتي » يسير نحوها ، ممتلئا ثقة ، وتبعته آليا وعندما صارت على بعد خطوات قليلة ، خرجت من الظلام الى ضوء المصباح ، وعندئذ رايتها . في الغالب اخافتني . كانت لا بد في سن لا يقل عن الستين ، لها نظرات غريبة مجنونة تطل من عينيها الملونتين بدوائر سوداء كبيرة حولها ، ووجه ممتلىء بالبودرة الثقيلة وفم احمر قاني ، وشعر متناثر في النسيم ، وشريط اسود حول رقبتها . كانت من النوع الذي يجوب الاماكن المظلمة حتى لا ترى ، وبالتأكيد انه لامر صعب ان تفهم ما الذي تفعله العجائز من هذا الطراز ليجدن زبائنا . على اي حال سألها « ريجامونتي » على الفور قبل ان يراها بطريقته المعتادة بلا خجل « سانيورينا » هل كنت تتوقعين ان ترينا ؟ » واجابته هي بنفس الاسلوب المجرد من الحياء : « نعم بالطبع . » عندئذ ، واخيرا رآها بوضوح وفهم غلطته . فتراجع خطوة الى الخلف وقال مترددا : « حسنا ، اني آسف ، اخشى ألا أستطيع هذه الليلة ... لكن هنا صديقي ، » وقفز مبتعدا واختفى تحت الجسر . وتأكدت ان « ريجامونتي » ظن انني تعمدت الانتقام لنفسي بتقديمي له هذه المخلوقة الشاذة من هذا النوع ، بعد كل تلك الفتيات الرائعات ، وتحققت ايضا من ان جريمتي الكاملة قد امحت . ووقفت انظر الى المراة التي حدثتني — مخلوقة مسكينة — مبتسمة مثل الابتسامة القبيحة في اقنعة الكرنفال : « حسنا يا صديقي الجميل ، هل تعطيني سيجارة ؟ » وشعرت بالاسى من اجلها ومن اجلي ايضا ، وحتى — نعم ، حتى من اجل «ريجامونتي» لقد احسست بكراهية كثيرة نحوه ، والان بحال او بآخر زالت كراهيتي ، وتدفقت الدموع من عيني وعبرت عن ذلك ، شكرا لهذه المراة التي انقذتني من ان اصبح قاتلا . قلت لها : « ليس معي سيجارة ، ولكن هنا ، خذي هذا ، اذا بعته فيمكنك دائما ان تحصلي على الف ليرة ، او ما يقرب من ذلك ، ووضعت مسدس «البرتا» في يدها . وعندئذ قفزت انا ايضا على زاوية الجسر وجريت نحو الطريق . في هذه اللحظة مر قطار «الفيتربو» . عربة بعد عربة وكل نوافذه مضاءة ، تنشر ومضات حمراء في الليل . فوقفت ونظرت اليه حتى اوغل في البعد ثم انصت الى صوته حتى تلاشى ، واخيرا ذهبت الى منزلي .

في اليوم التالي ، قال لي ريجامونتي في الحان : « كنت اعرف بالطبع ان في الامر خدعة .. لكن ولايهمك ، كانت قفشة جيدة . » نظرت اليه ثم بدات اشعر بانني لم اكرهه كثيرا ، رغم انه ظل كما كان من قبل ، بنفس الجبهة ، نفس العينين ، نفس الانف نفس الشعر نفس اليدين المشعرتين اللتين ما زال يعرضهما بنفس الطريقة كلما ادار ماكينة القهوة ، وشعرت فجأة بكل ذلك اخف مما كان ، رغم ريح ابريل التي دفعت الستارة عند باب الحان ، وهبت علي في داخلي . ناولني ريجامونتي فنجاني قهوة لاحملهما الى اثنين من الزبائن جلسا في الشمس الى مائدة في الخارج ، وعندما اخذتهما منه قلت له بصوت منخفض : « هل سنلتقي هذه الليلة ؟ لقد دعوت « آميليا » لتحضر ... » فالقى ببقايا القهوة المستعملة تحت ماكينة دفع النقود ، واعاد ملء نفس الكميات بقهوة طازجة ، وترك بعض البخار يتصاعد من الآلة ، ثم اجابني ببساطة ، وبدون اي مرارة : « اني آسف ، لكني لا استطيع هذه الليلة » . فذهبت الى الخارج حاملا الفنجانين ، وتأكدت من انني فشلت في رغبتي وانه لن يحضر هذه الليلة ولن يسرق مني «آميليا» كما سرق الفتيات الاخريات .

القاهرة — احمد محمد عطية

عزاء

*

التصقي بي
التصقي
كظلي
لكنما التصقي
ولا تملي

•

لانني
لاني
اشد اوتاري
ولا
اغني

•

التصقي بي
لا تسالي
ولا تجيبي
كأننا في مأتم
بلا نحيب
التصقي
بي

دوسلدورف — ناصر بوحيمد


محمود بن الشريف

حافظ ابراهيم وخليل مطران

بقلم محمود بن الشريف

عضو مراقبة الكتاب بوزارة التعليم العالي

* * *

صديقان حميمان .. جمعتهما اكثر من رابطة فتلازما .. وهكذا كان حافظ ومطران ، جمعتهما ، مع الشاعرية ، آصرة من صداقة متينة وعلاقة مكينة ، تخللت حياتهما افاكيه كثيرة ، ومداعبات تنم عن حب متبادل وصفاء واخلاص . قدم حافظ ابرهيم لخليل مطران صورته وساله رايه فيها .. وحدق الخليل في الصورة واطال التحديق ثم دفعها الى حافظ وهو يقول : لا بأس بها عنى العموم .. ولكن الانف الا تراه « مسن ولا بد » ؟ فرد عليه حافظ وهو يضحك : يا شيخ احنا قلنا لك بص في الصورة والا بص في المراية ؟ ! وفي لبنان كانا يجاسان تحت شجرة وحلا للخليل الغناء والترنيم .. ثم ترك لصوته العنان . فما كان من حافظ الا ان اخذ منديلا احمر ورفعه على عامود وساله الخليل : لم تفعل ذلك ؟ فقال حافظ : لكي يعلم الناس مصدر الخطر المدوي كالرعد ويعلمون كم اعاني منه واكابد ! !

وتدعو الجامعة الامريكية ببيروت شاعر النيل حافظ ابرهيم في حفلتها الادبية السنوية سنة ١٩٢٨ لينشد رائعة من روائعه التي اجتمع لسماعها صفوة من رجال العلم والادب وقبيل انتهاء الحفل قام مطران يحيي صديقه حافظ ويداعبه :

نهاية الفخر لي في هذه الكلم ... تعريف حافظ ابراهيم من أمم

أقول : من أمم ، اذ ليس في بلد ... بالشرق من يجهل اسم الشاعر العلم

ولم يطالع ويستظهر روائه ... ما بين منتشر منها ومنتظم

فهل أزيد الالى لم يعرفوه سوى ... اداء رسم لذي التعريف ملتزم ؟

هذا فتى الدهر زان النبل طلعته ... وان يكن بجمال غير متسم

اذا تجلى لك الالهام مزدهرا ... في مقلتيه فلا تنظر الى الادم

وان تبينت منه هيكلا تعبا ... بوقرة فهو في آن «خفيف دم»

دع الهيولى وحي الروح في رجل ... من أشرف الخلق بالاخلاق والشيم

تحار فيه فما تدري تفرده ... أبالقوافي ـ وان راعت ـ أم الهمم؟

لاحت مناقبه الغراء ساطعة ... للمبصرين سطوع الشهب في الظلم

أجللتموه واولاكم تجلته ... مجاهرا غير ضنان ولا برم

لكن حافظ ابراهيم انذركم ... له جوانبه الاخرى من العظم

عوذت بالله من غرثى العيون اخا ... يعدو الاناقة احيانا الى النهم

عشنا رفيقي صبا في مصر واشتهرت ... دهرا وقائعنا في كل مؤتدم

فالعقد من ثلث قرن غير منتثر ... والسمط شبه سماط غير منفصم

وقد رأى من بلائي في ولائمها ... بلاء حر جميل الظن بالكرم

الى البيوتات في الاطراف مختلف ... وللمحاشد في الحارات مقتحم

يغشى مآدبا استوفت أطايبها ... واستكملت ادب السادات والخدم

فأحنقته مباراتي ولا جرم ... وليس في حنق الموتور من جرم

فجاءكم ـ وعلى ما فيه من مقة ـ ... يبدى نواجذ رابي الضغن منتقم

فاطعموه ووافوا دين صاحبكم ... ولا تريحوه في يوم من التخم

وارخصوا قيم الطهو النفيس له ... فرب غارم شيء جد مغتنم

أدنى أحاديثه لو روجحت رجحت ... أعلى النفائس بالاقدار والقيم

وكم له نكتة تسبى العقول اذا ... جرى بها مرقم او رددت بفم

وتحدث خليل مطران عن نبوغ شاعر النيل فقال في العدد الخاص بذكرى حافظ الذي اصدرته السياسة الاسبوعية في سبتمبر سنة ١٩٣٣ :

« كان نبوغ حافظ من بدء امره الى نهايته كالمصباح الوهاج وراء ما مر به من حوادث خاصة وعامة ، فبرز نوره تارة في لون قاتم وطورا زاه ساطع ، وكان مرمى اشعة آنا يقصر فلا يجاوز حد الافق القريب وآنا يطول حتى يعدو ابعد مدى في آفاق الخيال تبعا لبواعث نفسه، فمن تلك البواعث ما كان محض الشكاية من امور خاصة به ، وهي صغار الهموم ، وها هنا وجد مجاله ضيقا . ومنها ما كان للتعبير عن شعوره القومي وتأثره بمؤثرات الحوادث الوطنية الجلى ، وهنا اتسع مجال فكره ورقى على قدر ما اتسع الاحساس العام ، ورقى فبلغ احيانا ابعد مدى واعلى ذروة من العبقرية » .

ويتابع الخليل حديثه عن شاعرية خليله فيقول :

« كان حافظ يتعب في قرض قريضه تعب النحات الماهر في استخراج تمثال جميل من حجره . يطرق الموضوع في الغالب من جوهره وربما نظم اكثر الابيات قبل المطلع شان الصانع القدير الذي يبدا بأصعب ما بين آمنا ان تهن عزيمته دون الاجادة بعد ذلك ، عالما ان الكلام لا بد ان يأتيه في اي مقام طيعا .ولو بعد حين . حاضر المحفوظ من افصح اساليب العرب ينسج على منوالها ويتخير نفائس مفرداتها واعلاق حلاها . اجلد الادباء على

المطالعة، كبير الامال، عاثر الجد، نجد على اكثر منظومه أثرا من الم النفس او مسحة من الشكوى، وتحمل بعض حروفه من بثه ما يلدغ لدغ النار الكامنة في غير متقد».

ويعود مطران فيترجم لنا في صدق مميزات شعر صديقه، ويحلل في قصيدة من قصائده ــ ولا ينبئك مثل خبير ــ خصائص قريض شاعر النيل:

ما شعر حافظ الا صورة مثلت للنيل فاض بالوان من النعم
وليس الا صدى الاطيار مالئة جنات مصر بما يشجى من النغم
شعر كان شعور القوم قدره فلاح مظنونه فيه كمرتسم
تراه اصدق مرآة لامته ان شف عن أمل او شف عن الم
يلقيه لحنا بلا لحن فيطربها ويبدع الوهم لا يلتاث بالوهم
لو كنت شاهده ايام ينشده وقد علا منبرا في المشهد القمم
علمت نشوة الخمر العتيق فلم تكد تفرق بين الحلم واللمم
فان ترسل جادته قريحته باحسن القول من جزل ومنسجم
وطاوعته المعاني فهي في يده ملك يصرفه تصريف محتكم
نثر فنون الحلى فيه موزعة بين المشاهد والاراء والحكم
زاه بافصح تعبير وابلغه سهل الاداء سليم اللفظ من سقم

وضمهما حفل حاشد جمع اكابر الشعراء لرثاء وتأبين رب السيف والقلم محمود سامي البارودي وانشد حافظ آنئذ قصيدته المشهورة:

ردوا علي بياني بعد محمود اني عييت واعيا الشعر مجهودي
ما للبلاغة غضبى لا تطاوعني وما لحبل القوافي غير ممدود

الى ان قال يعلل فقد البارودي بصره:

أغمضت عينيك عنها فاستهنت بها قبل الممات فلم تحفل بمولود

واستحسن المستمعون هذا التعليل الى ان وقف مطران فأنشد مرثيته العصماء:

مصابك حيا عرا جعفرا وخطبك ميتا عرا قيصرا
رزئناك لم يفن عنك البيان ولم يعصم الجاه ان تقبرا
وهذي النهاية عقبى النهى وذاك الثراء لهذا الثرى

الى ان قال يعلل فقد البارودي بصره:

اذا وسع الكون فكر امرىء فلا باس في الطرف ان يحسرا
على الشمس ان تهدى المبصرين وليس على الشمس ان تبصرا

وبذلك بز مطران صديقه بحسن هذا التعليل. وكان حافظ يقدر مطران ويقول عنه «هو في طليعة اولئك الذين خرجوا من افق التقليد، وصدعوا قيود التقييد واوسعوا صدر الشعر العربي للخيال الاعجمي، وافسحوا فيه للقصص وتصوير الحوادث وطوفوا بسرد وقائع التاريخ ففتح بذلك فتحا جديداً شن فيه الغارة على اهل الحفاظ والتمسيك».

القاهرة

محمود بن الشريف

الشاعر الغريب

ابدا ساهر حزين دائم النوح والحنين
نازح مله الضنى راح بالدمع يستعين

جفنه طلق الهجوع خانه مذ نای الرجوع
كلما حن للربوع يمزج الآه بالدموع
ناحل كاد لا يبين

فهو ان يجنح النهار خالعا معطف الوقار
كان لليل بانتظار شاعر مل الادكار
يملأ الليل بالانين

مدلج ينشد الحبيب ما له باللقا نصيب
كلما عاده النحيب أمطر الجفن بالصبيب
صادق الود لا يمين

ما تراه وقد مضى زمن الحب وانقضى
وعن اللهو اعرضا مذ بدا الشيب مومضا
كيف بالعيش يستهين

كم صبا القلب للحمى وشكى الصدر من ظما
وبكى الليل مغرما شاخص الطرف للسما
ينشد الاهل كل حين

ابدا ساهر حزين دائم النوح والحنين
هل عجيب علي ذا وانا النازح الامين

الارجنتين

فائق جبور

الاستدارة في الشعر

بقلم مير بصري

* * *

فما الفرات اذا جاشت غواربه   ترمي اؤاذيه العبرين بالزبد
يمده كل واد مزبد لجب   فيه حطام من الينبوت والخضد
يظل من خوفه الملاح معتصما   بالخيزرانة بعد الاين والنجد
يوما باجود منه سيب نافلة   ولا يحول عطاء اليوم دون غد

لقد قرانا ابيات النابغة الذبياني في مدح النعمان فأعجبنا بفن الشاعر الجاهلي الذي رسم لوحا رائعا لنهر الفرات المتدفق ليتخذ منه مثلا لجود ممدوحه . ان الاسلوب الذي استعان به لرسم هذه الصورة الشعرية انما هو « الاستدارة » او « الاسلوب المستدير » كما يسماها معروف الرصافي الذي قال في محاضراته : « دروس تاريخ آداب اللغة العربية » المطبوعة ملحقا بمجلة التربية والتعليم سنة ١٩٢٨ ما يلي :

« الصورة المستديرة ... وهي ان يكون الكلام مؤلفا من جمل مطولة متتالية مرتبط بعضها ببعض لا تستقل احداها عن الاخرى ولا يحصل القارىء على تمام المعنى منها الا عند ختامها بحيث اذا اسقطت منها جملة اختل معنى الباقي منها . فهي اذن على العكس مما مر في الصورة المستقلة يتوقف فهم تمام المعنى فيها على الاحاطة بمعاني الجمل كلها منها .

ولما كان الكلام الجاري على هذا النمط متسلسل الجمل ومشبها للدائرة من جهة اتصال اوله باخره عبرنا عن هذه الصورة المستديرة وسمينا هذا الاسلوب باسلوب (الاستدارة) او (الاسلوب المستدير) ... »

هذا ما قاله الرصافي وقدوسع في مفهوم «الاستدارة» لكنني اود في الحقيقة ان اقصر من نطاقها واخصها في هذا المقام بالشعر دون النثر فاقول : ان «الاستدارة» لون من الوان « الاستطراد » في علم البديع ويمكن تعريفها بانها استطراد الشاعر في التشبيه وخروجه عن الصدد في ابيات قليلة او كثيرة ليرسم صورة فنية يمثل بها موضوعه تمثيلا ويقربه الى ذهن القارىء . فالنابغة يستطرد الى وصف الفرات ذي المياه الدافقة ليكني به عن جود ممدوحه ، وقس على ذلك .

وامثلة « الاستدارة » في الشعر العربي والافرنجي كثيرة ويمكن تقسيمها الى ضروب ثلاثة :

فالضرب الاول استطراد في التشبيه ، وهو الاغلب والاعم ، وقد ذكر الرصافي انه « التفريع » في لغة اصحاب « البديع » وامثلته القديمة كثيرة في الشعر الجاهلي والاسلامي ، أما في الشعر العصري فمن نماذجه الجميلة قول محمد حافظ ابراهيم :

ما البابلية في صفاء مزاجها   والشرب بين تنافس وسباق
والشمس تبدو فى الكؤوس وتختفي   والبدر يشرق من جبين الساقي
بالذ من خلق كريم طاهر   قد مازجته سلامة الاذواق

وقول الاستاذ علي الشرقي في قصيدته « صوت الكوفة » التي تلاها في المهرجان الالفي لذكرى ابي الطيب المتنبي :

ما زهو فوارة في روضة انف   بجنبها الجبل الزاهي بشلال
والغيث نث رذاذا في نثارته   حب اللئالي يذريها بغربال
والسفح تعبق بالريحان نفحته   والورد ما بين اضداد واشكال
والرمل كالذهب الابريز يصقله   مور النسيم ولمع الماء والآل
والورق في ورق الاغصان تغمرها   الاحلام معمورة الدنيا باقبال
أشهى وأحلى لنا من صوت منتعش   في بيت شعر يريه بيت آمال

ومما قاله صديقنا الاستاذ مهدي مقلد :

ما فخر الهلال المستدير وما   زهو النجوم بألوان وأشكال
او التفاتة عين الريم والكبد الحرى   وهي منها مثل غربال
والغصن زمرده طل السحاب وفي   نثاره يحكي عقد اللؤلؤ الغالي
والماء كالفضة البيضاء منسكب   مثل السبائك بين الآس والضال
ينساب من غصن ورد في تدفقه   لغصن ورد وسلسال لسلسال
وذائب النور من ازرار فاتنة   يلون الحسن من حال الى حال
في موجتين على رمانتين بدا   كانه ألق الاصباح والآلي
او البطولة قد غالت بموكبها   في الموقف الضنك من ركاب اهوال
وفي الهياكل تقديس لهم وعلى   ركن المحاريب سطر بالعلا حال
والحسن نث عليها من صنوبرة الباروك لطفا   ومن صفصافه العالي
اذا رآها انحنى المثال من عجب الصنع الجميل   واعيا كل مثال
وكلما اخترعته ريشة اللبق المفن من صورة   او نحت تمثال
يوما باحسن مما صاغه قلم البليغ من حكمة   او ضرب امثال

وقلت من قصيدة :

ما التيه في ايحاشه وسكونه   تعوي الرياح به بليل أشام
قد امحلت فيه الحياة فليس من   نبت يضوع وطائر مترنم
لا تستبين العين في غبرائه   غير اليباب ورطه المتضرم
حتى السماء وقد كستها غبرة   وصلت بافق للقفار متمم
او لجة البحر الخضم اذا طفت   امواجها زحفا بغير تقدم
تطفو على الاذي فيها رغوة   كلعاب وحش هائل متهجم
قد مازج الماء السماء فلم يكن   من فاصل في المشهد المتجهم
لو كان للعدم السحيق مظاهر   لبدت على شكل هناك مجسم
تلك الطبيعة في اوان هياجها   كشفت عن الباس الكمين المبهم
بعناصر هوج اثيرت موهنا   فتصارعت كبني القضاء المغشم
يا ويل من حضر الصراع افانه   لن يروي الحدث المروع عن فم
ما ذلك القفر المجرد لا ولا   ذا البحر في طغيان ليل اقتم
باشد هولا من ديار أوحشت   من اهلها في عهدها المتصرم

وشعراء الغرب أولعوا بالاستدارة فتفننوا في ايرادها في اشعارهم كلما اقتضت الحال . ولنذكر على سبيل المثال الشاعر الفرنسي الفرد دي فني (١٧٩٧–١٨٦٣) فشعره يزخر بالاستدارات الرائعة ولا سيما قصيدته الخالدة « علواء » او « اخت الملائكة » وهي قصة مخلوقة سماوية ولدت من دمعة المسيح وجسمت الطهر والبراءة

والبهاء فكانت قرة عين اهل الفردوس . وطرق سمعها ذات يوم حديث ابليس – الملاك الهاوي ، فرقت لحاله ورثت لشقائه وغمر ذاتها العطف عليه وهيمنت على نفسها فكرة انقاذه واعادته الى ملكوت السماء . ولكن هيهات ! مضت الفادة السماوية الطاهرة تبحث عنه في مجاهل الجحيم الداكنة حتى اذا ما ظفرت به وظنت انها منقذته من ذاته الشيطانية وتهيأت للعودة به الى الملكوت الاعلى – لم تشعر الا وهي قد سقطت في حباله وهوت الى دركه الاسفل وحضيضه الاوهد .

ان هذه الملحمة التي تعتبر من عيون الشعر العالمي ملأى بالاستدارات وحسبنا ان نستشهد هنا بقطع مترجمة منها :

« في ذات يوم ... كيف نجرا فندعو باليوم ذلك الزمن الذي لا فوات له ولا مآب ؟ ان الخلود الذي يهزأ بفقر لغات البشر يغيب عن فطنتنا وراء حجاب ، فليس لنا لاجل التعبير عن لحظة من لحظاته القصيرة الا ان نجد لها اسما بين اسماء الازمنة ... »

ومنها : « هكذا في غابات « اللويزيانة » يخرج طائر « الكوليبري » الرائع من فراشه الوردي وقد نقف بيضة النضار التي انضجتها الشمس ، تهدهده الاقصاب الميادة والالياف الطويلة . راسه مكلل بالزمرد الاخضر ، والاجنحة التي تزين ظهره مصطبغة بالارجوان ، وقلبه الصغير ملتفع بمجن من زرقة السماء ، فيمضي الطير غازيا اجواز الفضاء . يطير في الرحاب المجاورة للضياء بريشه الرجاني الذي يخشى الغبار ... لكن الغابات واسعة شديدة على اجنحته الصغيرة ، خالية من الازهار التي تخرج بها مهده ، فينزل باحثا عنها بين الكلأ الاخضر ، فالافاعي التي قد تختفي فيها لا ترهبه بقدر ما ترهبه الغابات القاحلة .. هكذا « علواء » ، قوية منذ مولدها ، جربت شدة جناحها اللجيني وعبرت الطريق الابيض حيث تضطرم النيران الازلية تحت اقدام الله كالمعابد المتجمعة ... »

ومنها : « كثيرا ما تتفتح بين الجبال التي تشرف على الارض فوهة طبيعية عميقة منعزلة . ينصب فيها ماء السماء كالمرآة القاتمة التي تنعكس فيها نجوم الليل نهارا . هناك حين تنزل القروية جرتها لتستقي الماء تقف ساكنة لتتأمل هذا المشهد العجيب – مشهد الدراري الناصعة التي تظهر كانها تزين جبينها المنعكس في الماء بعصابة لم تزين بمثلها شعور الملكات . هكذا انحنت العذراء على العدم السحيق المنبسط امام ناظريها الجميلين فخالت انها تشاهد سماوات اخرى ... »

ومنها : « وحينا يقفز ابن نهر « الكلايد » المزبد فيجتاز جباله الملبدة بالضباب ليصطاد ظبيا خفيفا ... يجوز الصخر المكلل بالعشب ويجري في الوهاد ويتعلق باغصان الشجر ليعبر السيل الجارف ، يقع على قدم ثابتة ويشق طريقا الى الثلوج الانف التي لم يقتحمها البشر . لكنه سرعان ما يضيع بين الغيوم فيفتش عن الطريق الذي ظللته العواصف . فاذا راى هناك تحت قوس الغمام الذي يجلل المياه وشاح فتاة اسكتلاندية هائمة وسمع صوتها المتردد بين الاصداء ، يقف مأخوذا ويخال ان عينيه قد شاهدتا شبح اخت اجداده ... هكذا ظهر في بهائه شبح الملاك البعيد ... »

اما الضرب الثاني من « الاستدارة » فهو رمز او مثل يورده الشاعر ويسهب في تفصيله حتى ينتهي الى مطابقته للمعنى المقصود بعد ان يثير اهتمام القارىء وتلهفه الى معرفة المغزى . ومن الطف شواهد هذا النوع من الاستدارة قصيدة معروف الرصافي في رثاء جبران :

من سامع قصة لي كنت شاهدها	**على الربى الخضر من جنات لبنان؟**
فقد رايت غلاما صيغ منفردا	**بالحسن يصبو اليه كل انسان**
البدر يبدو حقيرا عند طلعته	**والشمس تعنو لوجه منه نوراني**
في عينه حور في ثغره شنب	**يفتر عن عقد في وسط مرجان..**

ويمضي الشاعر في وصف الفتى على هذا النسق البديع ويذكر وقوفه يذرف الدمع وبوقع الحانه الشجية التي تهفو بالقلوب حتى ينتهي الى القول :

حتى سالت عن الباكي وقصته	**فقيل هذا هو الشعر ابن جبران**

ومن الامثلة التي نسوقها في هذا الباب قصيدة الشاعر الفرنسي الفرد دي موسيه (١٨١٠–١٨٥٧) وهي من القصائد السائرة :

« حينما يعود البجع في ضباب الاصيل الى وكنه بين الاقصاب ، متخاذل القوى من رحلته الطويلة ، يجري صغاره الجياع على الساحل وقد راوه يطير بعيدا فوق المياه .

لقد ظنوا انهم فائزون بالطعام وشيكا ، فتسابقوا نحو ابيهم يصرخون سرورا ويضربون اعناقهم القبيحة بالمناقير . اما الطائر الاب فسار بخطى وئيدة الى صخرة عالية واخذ صغاره تحت جناحيه المتهدلين وارسل بصره الى السماء يائسا حزينا ... »

ثم يصف الشاعر تضحية البجع الذي لم يظفر بطعام لصغاره الجياع فيبقر احشاءه ويقدمها غذاء سائغا لهم ويسقط ميتا في هذه المأدبة الرهيبة . وهنا يتخلص شاعرنا الى القول :

« ايه ، ايها الشاعر ، هكذا يفعل كبار الشعراء : انهم يتركون ابناء الحياة يتمتعون بمباهجهم حينا ، لكن الولائم التي يقدمونها في اعيادهم لتشبه في اغلب الاحيان ولائم البجع .... »

وفي قصيدة اخرى يصف موسيه الفلاح الذي يعود الى كوخه مساء فيجده خرابا يبابا بعد ان انقضت عليه الصاعقة فأحرقته ، ويجد اطفاله مشردين هائمين على وجوههم وقد قضت امهم نحبها طعمة النيران . حتى اذا انتهى الشاعر من عرض هذا المشهد الحزين وتصوير ألم الفلاح البائس الذي ذهبت الكارثة بعقله ، عاد الى نفسه

عـودة

•

قد عدت يا قلبي
من موكب الحب
لو كنت بالغيب
وسـرّه ادري

ما سرت في الجمع
لشاطىء الدمع
ولم أعر سمعي
نـداءه المغـري

مـاذا الذي نلنـا
ايـن الذي رمنا
أين المنى اينا
يا ضيعة العمر

بل هكـذا انتـا
يا قلب مذ كنتا
تعيش ما عشتـا
للحـب والشعـر

الاسكندرية — جمال مرسي بدر

فشبهها بهذا الفلاح ووصف حزنه الطاغي حين تركتـه حبيبته الخائنة .

ومن امثلة هذا الضرب من « الاستدارة » ابيات قس بن ساعدة الايادي :

لمـا رأيـت مـوردا — للمـوت ليس لها مصادر
ورايت قـومي نحـوها — تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجـع المـاضي الـي — ولا من الباقين غـابر
ايقنت انـي لا محـالة — حيث صـار القوم صائر

وقول ابي العلاء المعري في قصيدته الشهيرة « الا في سبيل المجد » :

اذا وصف الطائي بالبخل مادر — وعـير قسا بالفهامـة بـاقل
وقال السهى للشمس انت ضئيلة — وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة — وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة — ويا نفس جدي ان دهرك هازل

وقول احمد شوقي في رثاء مصطفى كامل :

ولقد نظرتك ـ والردى بك محدق — والداء مـلء معـالم الجثمـان
يبغي ويطغي والطبيب مضـلـل — قنط وساعات الرحيل دوانـي
ونواظـر العواد عنـك امـالها — دمـع تعـالج كتمه وتعـاني
تملي وتكتب ، والمشاغل جمة ، — ويـداك فـي القرطاس ترتجفان
فهششت لي حتى كانك عائدي — وانا الذي هد السقام كيـاني

ولنأت الان الى الضرب الثالث والاخير من «الاستدارة»، وهو أن تبدأ القصيدة او احد مقاطعها بأداة شرط فلا تأتي بالجواب الا في البيت الاخير . قال معروف الرصافـي في محاضراته التي المعنا اليها في صدر هذا الحديث :

« قلنا ان اسلوب الاستدارة قد يقع في الشعر ايضـا ولكنه يقع في اثناء القصيدة ثم ينقطع ولا يستمر الـى الاخر، ولم نجد قصيدةعربية تنطبق على اسلوبالاستدارة من اولها الى اخرها . وقد انشدني مرة احد اصدقـائي في فلسطين قصيدة باللغة الانكليزية تزيد على عشرين بيتا وهي لشاعر انكليزي لا اذكر اسمه الان وقد ترجمها لي منشدها ودعاني الى تعريبها شعرا . وهي تبتدىء بـ « اذا » في كل بيت من ابياتها ولا يأتي الجواب الا في اخرها . فهي اذن تنطبق على اسلوب الاستدارة مـن مطلعها الى مقطعها . »

ان القارىء قد عرف ـ ولا ريـب ـ فـي القصيدة الانكليزية التي يشير اليها الرصافي قصيدة رديارد كبلنغ الشهيرة « اذا » التي نقلت الى العربية غير مرة شعرا ونثرا:

« اذا استطعت ان تلبث رابط الجاش في حين يفقـد كل من حواليك هدوءه وينحي عليك باللائمة .

« اذا ... اذا ... اذا ...

« اذن فلك الارض وما عليها ، وما هو خير ، ستكون رجلا يا ابني ! »

ان هذه القصيدة من وحي الهند التي ولد فيها كبلنغ شاعر الاستعمار البريطاني وعاش فيها دهرا طويلا . لكن الهند العظيمة اوحت الى شاعر اخر من ابنائها قصيـدة رائعة تزخر بمعاني الحرية والمحبة وسعة الفكر ـ قصيدة تعتبر هي الاخرى مثلا جميلا من امثلة الاستدارة الشرطية التي نتكلم عنها . هذا الشاعر هو طاغور وقصيدته التـي نترجمها هنا خير ما نختتم به بحثنا الادبي :

« حيثما يكون الفكر غير هياب ولا وجل ، والراس مرفوعا الى العلاء ،

وحيثما تكون المعرفة حرة ،

وحيثما يكون العالم واحدا لم تجزئه الجدران المحليـة الضيقة اجزاء ،

وحيثما تنبثق الكلمات من اعماق الحقيقة ،

وحيثما يمد الجهد الذي لا يعرف الكلل ذراعه نحو الكمال ،

وحيثما ينساب جدول العقل الصافي غير ضال سبيله نحو صحراء قاحلة من العادة المتحجرة ،

وحيثما ينطلق الذهن بوحي منك الى آفاق الفكر والعمل الرحيبة في تلك السماء ، سماء الحرية ، يا ابت ، اكتب اليقظة لبلادي ! »

بغـداد — مـير بـصري

كانت الساعة حوالي الثانية والنصف بعد منتصف الليل حينما سمعت صوت ابني « عصام » من الغرفة المجاورة يبكي في ذعر شديد ...

تخطيت الممر الذي يفصل غرفته عني في سرعة .. وتقدمت من سريره فوجدته ما يزال فيه راقدا ولكنه ينشج في بكاء ويصرخ وكانه يشاهد حلما مزعجا ... استلقيت الى جانبه في السرير وجعلت اكلمه بصوت مهموس وانا امرر بيدي على راسه متحسسا شعره ووجهه.. الى ان وجدته يهدا رويدا ويسكت صوته ولكن التنهيدة العميقة لا تزال تاخذ منه انفاسه بين لحظة واخرى.

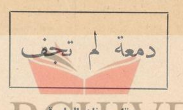
مرت لحظات وانا بجانبه ، نسيت فيها نومي ولم افكر بعملي الذي يوجب علي ان اقوم لتاديته من السابعة صباحا ... لم افكر الا بعصام .. العالم الوحيد الذي وجدت نفسي بين يوم واخر اعيش من اجله.. اكافح واعمل حتى يعيش ابني الوحيد في حياة سعيدة اتمناها له دوما ...

وتملكني شعور بالطمانينة وانا انسل من جانبه واعود لغرفتي واستلقي في الفراش لاستقبل جيوشا هائلة من ذكريات واحلام ماضية .. حاولت النوم ولكنني لم استطع ، وبدات الاف الصور تترى امامي وكانني اعيشها من جديد يوم كانت « غادة » زميلة لي في كلية الاداب منذ سنوات .

قابلتها لاول مرة في حفلة اقامها بعض الزملاء وكنت مدعوا اليها وكانت غادة ضيفة اخرى في الحفل ..

كانت نشطة رائعة، جمالها الهادىء الصاخب في وقت معا ترك في نفسي صورة جميلة لها جعلت ارددها كلما خلوت الى نفسي ... وبدات الح كذلك في مقابلتها .. وطلبت ذلك من زميل لي يدعى « سامي » ، وكان اقرب الناس الي واعرفهم بطبعي .. لم اكن في الكلية من اولئك الشبان الذين يسعون الى مغامرات عاطفية مع زميلاتهم .. بل كنت متحفظا لاخر حد مع الزميلات حتى انني لم ادع لواحدة منهن ان تقتحم البرج العالي الذي كنت اعيش فيه وحيدا ... وكثيرا ما كنت اسمع كلمات قاسية حولي تنبعث من كل مجال ، تقول بانني متكبر متعجرف لا يطمئن الى صداقتي ولا يسعد الى جانبي .. كل ذلك لانني كنت اعيش وحيدا ، واجد سعادتي في الوحدة التي اعيش فيها ..

ولكنني لم اعد كذلك عندما قابلت « غادة » ... غدوت اطلب الاجتماع والحفلات والمآدب.. كل ذلك لاهرب من الوحدة التي كانت في يوم من



بقلم عدنان الداعوق

الايام كل حياتي .. اصبحت امقت الانفراد واتخيل الوحدة وحشا كاسرا يريد ان يفترسني ..

ولجأت الى صديقي الوحيد « سامي » وحكيت له الامي الجديدة وما الاقي من الوحدة واضفت اسأله عن « غادة » وماذا يعرف عنها .

فنظر الي سامي نظرة كلها تعجب واستغراب ، وكانه لم يصدق ان اهدم بنفسي يوما من الايام الصرح العالي الذي بنيته وعشت فيه ردحا طويلا من الزمن ...

ولم يملك نفسه من ان قال :

ـ كيف حدث كل هذا يا



حمدي .. ؟

وحاولت ان ابعده عن الخواطر التي استحكمت في خياله وفكره وقلت محاولا ابعاده عن الموضوع الذي يشغلني .. :

ـ لم يحدث اي شيء .. كل ما هنالك انني اريد ان اعرف شيئا او اي شيء عن غادة .. افي هذا غرابة .. ؟

فاجابني باصرار خشيت منه :

ـ اجل .. فانا لم اتعود منك ان تسأل عن الناس ، واذا ما سألت فلا بد ان هناك امرا جليلا تحاول اخفاءه عني ...

ما موقفك من غادة ياحمدي ..؟

حاولت ان ابدو هادئا ، وان ارد له التهمة المفاجئة التي صبها فوق راسي مباشرة ودون اي تلميح ... ولكنني لم استطع .. وسكت ولم اجب على سؤاله .. فعاد وقال بلهجة لا تخلو من القسوة والتأنيب :

ـ كفاك سخرية من نفسك ومن الناس يا صديقي .. وانظر الى العالم نظرات تفاؤل وسعادة ... وحاول ان تكون كالاخرين ...

وبالفعل حاولت ان اكون كالاخرين طلبت من سامي بالذات ان يعرفني على « غادة » .. وكان ما اردت ، ووجدت فيها ذلك الجمال الهادي الصاخب الذي يترك في النفس اثرا هائلا واكتشفت في نفسي اشياء اخرى .. ظهر لي انني بدات اميل اليها .. وحاولت ان اقابلها في كل يوم ، ولم تمانع في رغبتي .. بل كانت تاتي لمقابلتي في منتهى السرور، وعرفت انها سعيدة بلقائي مبتهجة من معرفتي .

ومرت ايام .. وسامي ما يزال ينظر الي بقسوة وكانه يدفعني بنظراته القاسية الصارمة الى الحياة التي يفهمها كل الناس الا انا ... وجاءني في يوم من الايام مبتهجا وقال :

ـ اظنك بدات تعرف الحياة بما فيها من اسرار ..؟

فاجبته في بهجة تفوق بهجته ،

وسعادة لم يلمحها لدي من قبل .

ـ اجل ، اظن ذلك منذ ان عرفت غادة ..!

ـ حمدا لله ان دخلت هذه الانسانة النبيلة قلبك .. حتى انها استطاعت ان تقلب حياتك كلها وتبدل فيها كثيرا من المعالم والمفاهيم واظنني استطيع ان اقول لك ايضا بانك استطعت انت كذلك ان تؤثر في نفسها .

ولم اتمالك نفسي فسألته في لهفة وشوق :

ـ وكيف عرفت ذلك ..؟

فأجاب في اطمئنان كثير :

ـ انها لا تفتأ في كل يوم تحدث اختي « هيفاء » عنك وتقول بانك شاب يختلف عن الاخرين .. وليس من ذلك النوع الذي يتهافت على الفتيات ، بل هي معجبة جدا بتصرفاتك المتزنة وادبك الكثير ...

وشعرت بفخر شديد وانا اسمع ذلك من « سامي » ... واستحلفته ان يقول الصدق فيما يعنيه .. فعاد وقال :

ـ هوذا الصدق .. وهي في كل يوم عند « هيفاء » وليس بينهما الا الحديث عنك ..

**

وتخرجت في ذلك اليوم من الجامعة وعملت مدرسا ، وتخرجت غادة كذلك وحال بين لقائنا المستديم جدار بعيد المدى واسع الامتداد .. وغدت « غادة » كل تفكيري ، ولم استطع البعد عنها .. فالتمست من صديقي « سامي » ان يساعدني فيما انا فيه .. فاشار الي بفكرة جديدة لم تخطر على بالي بادىء الامر .. ولكنها استحالت بعد ذلك كل تفكيري .

الزواج ..!

ولم لا .. الم احب « غادة » .. الم افكر بها خلال سنوات طويلة .. الم الازمها دوما في افكارها واحاسيسها وخواطرها .. !

فلم اذن تبدو هذه الفكرة جيدة علي .. الست بحاجة الى «غادة» في منزل اشعر فيه بالوحشة والابتعاد عن كل الوجود ..!

اليست هي الوحيدة التي تستطيع ان تحيل هذه الاشواك اليابسة في ارضي الى ورود ورياحين تقطر اريجا حلوا ، ونفحات طيبة ..

وقررت الزواج بمن احببت ، بفتاة العمر وانشودة الحياة . « غادة » ..

كم كانت لحظة سعيدة عندما ذهبت الى والد «غادة» اطلب الزواج من ابنته الوحيدة ..

وانتظرت كلمة الاب المحب لابنته وكانني متهم في قفص الاتهام انتظر الحكم وقول الحاكم اما بالبراءة او بالحكم بالاعدام ..

وكان مجرد كلمة الرفض هي الاعدام بالنسبة لي .. لان حياتي لن يكون لها اي طعم اذا خلت من حبيبة العمر .

وغاب الاب لحظات يستشير فيها ابنته خيلت الي كأنها عمر جديد يمر علي ... وعاد يحمل الي البشر والسعادة والرضى بقبولي زوجا لابنته ..

وتمت جميع مراسيم الزواج بمنتهى السرعة ومنتهى السعادة . وضمنا بيت واحد .. وتحققت الآمال ، وتجسدت الاحلام التي ظللت اجترها زمنا طويلا .. افقت بعدها لاجد «غادة» زوجتي ، ملكا لي لوحدي ..

ومر عمرنا حلوا جميلا .. وزاده جمالا وحلاوة وردة فتية نبتت في بيتنا .. ابننا «عصام» الابن الذي حمل من امه الجمال الهادىء الصاخب ، فكان يترك في نفس كل من يراه اعجابا وحبا وامنيات سعيدة وعمرا مديدا ...

**

... رن المنبه بجانبي رنينا متواصلا وكانه يظنني استغرق في النوم ويلح علي باليقظة .. فالساعة قد تجاوزت السادسة والنصف صباحا ... مددت يدي واسكت صوت المنبه المزعج ، وانا ما ازال مستغرقا في افكاري وبعث ذكرياتي من جديد ..

وسمعت من الغرفة المجاورة صوت عصام يقهقه في صوت طروب مع مربيته العجوز «ام محفوظ» ..

وقبل ان اخرج من المنزل كان عصام يقف بجانب باب غرفتي يراقبني وانا ارتدي ثيابي في اعجاب كثير ..

ولفت سمعي نقرات اصابعه الناعمة على الباب .. وصوته الهادىء الصاخب يقول بلهجة الطفولة المحببة :

ـ صباح الخير يا بابا ..؟

فمددت يدي وتناولته ، ورفعته الى صدري وطبعت على وجنته قبلة رائعة ..

ومشى معي الى باب المنزل الخارجي وام محفوظ تتبعه كالظل ... وقبل ان اغيب عن ناظره سألني بسذاجة :

ـ شو حتجبلي معك يا بابا الضهر ..؟

فقلت له :

ـ اللي تطلبه يا حبيبي ..

فهمس وكأنه يخشى ان تسمعه ام محفوظ وهي خلفه ..

ـ بسكليت يا بابا ...

ـ على عيني يا حبيبي ..!

**

ومشيت في الطريق وانا اردد .. يا حبيبي ، يا حبيبي .. نفس الكلمة التي كانت تقولها لي «غادة» كل يوم وقبل ان اغادر البيت .. لماذا حرمني الله منها .. وترك حياتي جفافا وشوكا ..

ما اقسى الموت .. وما امره ، اتراه لو كان يعلم بحبي العظيم لزوجتي لاقترب مني .. وخطفها في غمضة عين ..؟

واحسست بدمعة ساخنة تحاول السقوط من عيني ، فاسرعت بمنديلي لالتقطها من العين قبل ان تسقط وقد صرت بين زحمة الناس ، واختفت الدمعة ، ولكنني لم استطع ان امسح الزفرة الصارخة التي صعدت من اعماقي . حسرة ولهفة وشوقا على الحبيبة غادة .

حمص عدنان الداعوق

بدائيو القرن العشرين

بقلم نعيم عطية

تعتبر المدرسة البدائية من اطرف وامتع ما عرفه فن التصوير الحديث . وقد بدا اهتمام الراي العام جديا بفن البدائيين يتزايد بعد معارضهم الكبيرة في باريس عامي ١٩٢٧ و ١٩٣٢ وفي زيوريخ عام ١٩٣٧ ثم في نيويورك عام ١٩٣٨ وفي برن عام ١٩٤٩ . واضحت البدائية مدرسة معترفا بها من مدارس الفن الحديث .

ولقد اختط بدائيو القرن العشرين طريقهم معتمدين كلية على دوافع ذاتية اصيلة بعيدا عن تعاليم معاهد الفنون الجميلة وبعيدا عن كل ملامسة للمدارس الفنية المعاصرة. وقد ظلوا بسبب ظروف حياتهم الفقيرة والازدهار المتاخر لفنهم او اقبالهم على الفن في سن متقدمة ــ ظلوا بعيدين عن الثقافة الفنية والتيارات الفكرية لزمانهم . ولكن هذا الانعزال الذي حرمهم من كل الاحتكاكات الثقافية مكنهم من الناحية الاخرى من الاحتفاظ ببصيرتهم الفطرية ورؤياهم البدائية للعالم ومن ان يعبروا عن تلك الرؤيا تعبيرا خالصا في تصاويرهم . وهذه الرؤيا هي رؤيا رجل الشارع العادي البسيط مما جعل الكثير من النقاد يطلقون عليهم اسم اساتذة الفن الواقعي الشعبي . ورؤيا الفنانين البدائيين قريبة جدا من الرؤيا التي كان يراها الانسان قبل ان يدخل الى الحياة المتحضرة . وفي مقدمة هؤلاء الفنانين البدائيين روسو وفيفين وسيرافينا وبيرونيه وبوشان وهيكس . واعمالهم تحقق بلا عناء المعجزة الخالصة ، معجزة الشعر الاول وتعبر عن المشاركة العميقة والازلية بين الانسان والوجود وتحتفظ بصفاء ونقاء غير عاديين . وتختلف تصاوير البدائيين عن تصاوير الاطفال والمجانين بما تنطوي عليه من منطق وقوة في البناء والتركيب رغم ما تشترك معها فيه من بدائية الرؤيا وبساطة التصوير .

ولهيلم اوهد

ان الناقد الالماني ولهيلم اوهد شخصية لا تنسى في تاريخ الفن الحديث انه صديق الفنانين البدائيين ومكتشف روسو وفيفين وبوشان وسيرافينا وواحد من اشد المؤمنين بالفن الحديث واتجاهاته .

وقد ولد اوهد عام ١٨٧٤ ومات عام ١٩٤٧ . وكان على استعداد لان يضحي بكل شيء في سبيل الحصول على اللوحة التي تستهويه دون اعتداد بقيمتها التجارية، وعندما كان كل من بيكاسو وبراك ما زال فنانا مغمورا كان اوهد يشتري لوحاته . وكان من اوائل من اكتشف في عام ١٩٠٦ عبقرية موظف الجمارك هنري روسو واقبل على شراء كثير من لوحاته . وفي عام ١٩١٢ نشر دراسة مستفيضة عن فنه واقام معرضا شاملا لاعماله . وفي عام ١٩١٣ اثناء اقامة قصيرة في سينيلي اكتشف سيرافينا المدهشة وسخا في تأييدها . وقد الف عدة كتب عن بيكاسو وفان جوج وغيرهما الا ان اسمه سيظل مرتبطا على الاخص باولئك الذين سماهم باساتذة الفن البدائي وكرس حياته لتأييدهم والدعاية لفنهم وتعريف الجماهير باعمالهم ، وتكريما لذكراه اهدى بعض معارفه واقاربه مجموعة من لوحات « بدائيي القرن العشرين » الى متحف الفن الحديث في باريس . وتعرف القاعة التي تعرض فيها لوحات اولئك الفنانين البدائيين بقاعة اوهد .. اعترافا بأياديه البيضاء .

هنري روسو

واذا اردنا ان نتكلم عن اساتذة الفن البدائي الحديث فلا بد ان نبدأ بهنري روسو . اول بدائيي القرن العشرين وواحد من اعظم رواد الفن الحديث .

ولقد ولد هنري روسو عام ١٨٤٤ ببلدة لافال من ابوين كان فقرهما هو السبب الاوحد ــ على حد قوله ــ الذي حال بينه وبين ان يعد نفسه لدراسة منظمة واكاديمية لفن التصوير منذ البداية . ولقد كتب عن نفسه يقول : « في عام ١٨٨٥ فحسب وبعد تردد كبير بدأت ارسم وحدي . وليس لي من معلم سوى الطبيعة وقليل من النصح قدمه لي جيروم وكليمنت » وقد كانا استاذين اكاديميين . وفي سن الثامنة عشر التحق بالفرقة الموسيقية لكتيبة المشاة الثانية والخمسين حيث تولى العزف على الساكسفون . ويعتقد انه اشترك في حملة المكسيك ما بين عامي ١٨٦٤ و١٨٦٧ كما خدم في الحرب البروسية عام ١٨٧٠ وسرح منها برتبة جاويش ثم عين بوظيفة صغيرة في مصلحة الجمارك . وفي عام ١٨٨٦ عرض لوحتين في المعرض الثاني للفنانين المستقلين . وفي ذات العام اعتزل الخدمة في سن الثانية والاربعين ليتفرغ للتصوير معتمدا على معاش زهيد . ومضى يعرض بانتظام في معارض جمعية الفنانين المستقلين . وصادق جوجان واديلون ريدون ، وسوراه . وعن طريق الشاعر الفريد جاري تعرف بريمي دي جورمون الذي نشر في مجلة « المصور » ليثوجرافا مبنيا على لوحته الشهيرة « الحرب » . وفي عام ١٨٩٩ انجز روسو كتابة مسرحيته الفاشلة « انتقام اليتيم » ولما لم يكن يكفه معاشه الضئيل فقد اعطى دروسا في الرسم والاعراب والموسيقى للتلاميذ الصغار من اهل جيرانه . فقد كان يستطيع العزف على الكمان والكلارينيت والفلوت والماندولين . كما كان يصور

جيرانه من اصحاب الحوانيت . وعندما كان يرسمهم كان يأخذ مقاييس قسماتهم كما يأخذ حائك الثياب مقاييس زبائنه . وفي عام ١٩٠٧ التقى بولهيلم اوهد الذي كتب اول دراسة عن اعماله .

وقد امكن لروسو رغم صعاب الحياة ان يكرس كثيرا من وقته للتصوير النابع من قلبه مباشرة .

ولقد صور روسو كل ما اثار اهتمامه : حفلات الزواج والعماد المحلية ، صور الاصدقاء ، مناظر طبيعية ، طبيعة صامتة ، وفي صور الحفلات تبدو على الاشخاص سمة من الثبات والوقار تزيد من اضفاء طابع الاهمية على المناسبة موضوع الصورة . اما مناظره الطبيعية فتتدرج من الاهتمام البالغ بالتفاصيل الى الاستعمال الحر العريض للفرشاة بغية الايحاء بالضخامة والتماسك . وكانت له الموهبة التفصيلية التي كانت للروائي ليو تولوستوي . وفي لوحاته عن الزهور تبرز تفاصيل كل زهرة حتى اشواكها بكل دقة وعناية ومحبة . وكان يكبّر الاغصان والفروع ويعرض لنا اوراقها وازهارها كما لو كان يراها من خلال منظار مكبر .

على ان روسو يصل الى قمة عبقريته في « مناظره الغريبة » . وهي تخيلات الغابة العذراء . وقد يكون روسو قد رأى النباتات واحدة واحدة في حدائق النباتات كما رأى الحيوانات الغريبة في حدائق الحيوان ، ولكن ذلك التشابك وتلك الكثافة التي تبدو عليها النباتات في لوحاته والظلال والضياء الغامضة التي تتسلل من خلالها الى اغوار الغابة السحيقة لا يمكن ان يكون قد رآها في اية حديقة من حدائق النباتات .

ولا شك انها صور من صور الاحلام الخارجة تماما عن متناول اية تجربة بصرية ومع ذلك فقد كان روسو يعتقد في نفسه انه فنان واقعي ويقول انه « في الطريق لان يصبح واحدا من افضل مصورينا الواقعيين » وعندما كان يصور حلما فانه يقرر انه حلم ذلك الذي يرسمه .

و « الحلم » هو الاسم الذي اطلقه روسو على احدى لوحاته المعروفة وقد افرغ فيها اعمق رؤى قلبه . ويمكننا ان نصف هذه اللوحة في الآتي : على اريكة مخملية حمراء ، بين نباتات ضخمة ذات اوراق عريضة مدببة الاطراف ، تجلس امراة ذات ضفيرتين طويلتين ممددة الساقين . ومن حولها زنابق قرمزية وزرقاء ممشوقة ، واسدان ساهما النظرات يختبئان بين الاغصان الكثيفة ، وشبح اسود غامض ينفخ في مزمار ذهبي .

وكانت هذه آخر لوحات روسو فقد انجزها في السنة التي مات فيها . وكانت المراة الجالسة على الاريكة زوجته الاولى وحبه الاول والاخير . وذلك رغم انه تزوج مرتين وكان على وشك الزواج للمرة الثالثة . وعندما ارسل اللوحة الى معرض المستقلين في عام ١٩١٠ ارفق بها قصيدة الى حبيبته النائمة على الاريكة المخملية تحلم بالغابة التي جذبتها اليها نغمات مزمار ساحر الثعابين . فذلك الشبح الاسود الغامض الذي ينفخ في المزمار الذهبي هو « ساحر الثعابين » الذي صوره روسو في لوحة اخرى بهذا الاسم لا تقل روعة عن لوحته « الحلم » او عن لوحته الاخرى الخالدة « البوهيمية النائمة » .

وما كان يمكن للوحات روسو ذات الاصالة والقوة والجمال الا تجذب اليها الانظار ولكنها في الواقع كانت موضع سخرية الساخرين في اول الامر . على انه ما لبثت قلة من النقاد ذوي البصيرة النافذة ومن الفنانين الذين لقوا الاستهزاء بدورهم في وقت من الاوقات ان تحمست لفن روسو اشد الحماس ورحبت به ترحيبا حارا . لقد كان المصور كاميل بيسارو البالغ الذكاء واحدا من القلائل الذين ادركوا عبقرية روسو مبكرين . واكتشف جوجان بدوره في لوحاته كثيرا من الاصالة التكنيكية امكن له بدهائه ان يقتبسها في انتاجه الخاص على حد قول البعض . وحوالي عام ١٩٠٥ اخذت اعمال روسو تستثير اهتمام المصورين الشبان ، ديرين وفلامينك وديلوني وبيكاسو . وفي عام ١٩٠٨ اقام بيكاسو حفلة تكريم كبيرة لروسو .

ولقد تلقى روسو ، الذي لقي التجاهل والاستهزاء طويلا، هذا الاهتمام بفنه بسرور صبياني . ولكن بلا دهشة كبيرة . فقد كان مغرما بلوحاته مؤمنا بأنها خير ما في استطاعته . وبدأ يبيع لوحاته بصعوبة كبيرة الى غير جيرانه الذين كثيرا ما رسم صورهم لقاء بضعة فرنكات . واخذ يدعو اصدقاؤه الجدد الى سهرات غريبة في مرسمه. وكانوا يجيئون على الاخص بدافع من الفضول ليعاينوا العالم السحري الذي يعيش فيه ذلك الطفل الكبير الرث الثياب الذي كان فنانا اعظم بكثير مما كانوا يظنونه عنه .

وكانت هذه السهرات تفتتح بالمارسيليز . ثم يعزف روسو بعض المقطوعات على الكمان وكان بعضها من تأليفه. ثم يغني بعض الاغاني القديمة بمفرده او بمصاحبة بعض من تلاميذه الصغار . واحيانا كان ينشد اشعارا من تأليفه او من تأليف صديقه ابولينير او غيره . وكثيرا ما كان يقرأ بعض مختاراته من مسرحيتين فاشلتين كان قد ألفهما .

وفي اخريات ايام روسو حدث ما لم يكن متوقعا قط. ففي يناير ١٩٠٩ ورطته سذاجته في عملية احتيالية . فقبض عليه وثبتت ادانته ولكن القاضي حكم بوقف تنفيذ العقوبة اذ اقتنع رغم الادلة القانونية التي قامت ضده بانه كان ضحية اكثر مما كان شريكا جديا في الجريمة . والطريف ان القاضي ادخل في اعتباره لوحات روسو ذاتها التي خلص منها الى انها خير دليل على سذاجته وغفلته وعجزه عن ارتكاب الجريمة .

وكما لو لم تكن في هذه الصدمة الكفاية بالنسبة للرجل

العجوز ، فقد ابتلاه القدر بصدمة أخرى . لقد وقع في غرام ارملة جشعة قاسية القلب مضت تقبل الهدايا التي اغدقها عليها مستنزفا بها ايراده الضئيل ولكنها في النهاية طردته وسخرت منه ومن لوحاته . وهكذا انتهت حياته كما بدات في الفقر المدقع . وفي الثاني من اكتوبر عام ١٩١٠ دخل المستشفى ومات . وعلى قبره كتب الشاعر ابولينير الابيات الآتية :

«ايها الوديع روسو كن في انتظارنا ... ديلوني وزوجته والسيد كويفال وانا .. سهّل مرور امتعتنا عند باب السماء .. سنحضر اليك ريشا والوانا ولوحات .. حتى تكرس اوقات فراغك المقدسة .. في النور الحق لترسم صورتي .. ووجه النجوم ! »

ولكن هل كان روسو سعيدا ام شقيا ؟ لقد كان روسو الساذج الوديع في الواقع يتعرض لشتائم زوجته . وهجمات ابنته وانتقادات النقاد ولكنه كان مع ذلك يحيا في حلم كبير ، متصورا ان العالم غابة حافلة بالضراوة . ولم يكن يتوقع الخير من الناس كثيرا . لقد تيقن من ذلك واخذ الامر بكل بساطة . وكان على الدوام في صف الحيوان الاعزل والضحية التي لا حول لها . وتبدو في لوحاته بشكل جلي صفة الاشفاق والحنان الشامل للمخلوقات ومقدرة خارقة على شق طرق تخفى عن العين المجردة ، واحساس دفين بصراع رهيب يعجز المنطق عن فهمه . ولقد عاش روسو في الفقر ولكن دون ان يسلم روحه له . لقد طالب في شجاعة بمكانته اللائقة في الفن والحرية والحياة . وما من شك في انه كان في اعماق قلبه يحس بالسعادة لانه كان عصاميا وظل مخلصا لاحلامه الاولى رغم قلة موارده وضآلة قسطه من التعليم . لقد كان طفلا كبيرا حبته الطبيعة بالقدرة على الحب اكثر مما حبته بالمعرفة .

وتعتبر لوحات ذلك الساذج ترياقا ضد سموم حضارتنا الالية . ويفيض فنه بما تفيض به النبوءات من نضارة وامل .

اندريه بوشان

ولد اندريه بوشان عام ١٨٧٣ . وقد بدأ يرسم وهو في سن السادسة والاربعين وسرعان ما اثبت وجوده مصورا للمناظر المستقاة من الكتب المقدسة والاساطير القديمة واسفار التاريخ . وكان ابوه بستانيا وعندما شب عاون اباه في مهنته . وكان حبه للزهور والاشجار شديدا ويبدو ذلك جليا في لوحاته . وفي عام ١٩٢١ عرض تسع لوحات في معرض الخريف وقد لفت بها انظار الفنانين الكبار ليكوربوزيه واوزنفان ودياجيليف وقد كلفه هذا الاخير برسم الديكور لاحد الباليهات . وبعد ان ساهم بلوحاته في كثير من المعارض اقيم معرض شامل لاعماله في شتاء عام ١٩٤٩ تضمن اكثر من مائتي لوحة .

واننا لنشعر امام لوحات بوشان باننا في اللحظة التي خلق فيها الوجود ، كل شيء يخفق ويهتز ويتماوج ... كل شيء له اللمعان والصفاء اللذان للكائنات في ايام الخليقة الاولى . زهور الداليا والمانوليا والنرجس تبرز امامنا ، والبحر قد زخر بالاسماك وكل طيور الفضاء قد بسطت اجنحتها ... الوفرة في كل شيء وفي مكان ... تفاح وكمثرى وعنب يملأ الصحائف المتوجة بالزهور .. ان بوشان ليس مجرد مصور انه باعث للضياء .. انه طائر صداح يتغنى بالطبيعة الخصبة السخية على الدوام.

لويس فيفين

ولد لويس فيفين عام ١٨٦١ ومات عام ١٩٣٦ . وتسبح لوحاته في شباك من الخطوط الدقيقة . وهو يرص حجرا فوق حجر ومبنى الى جانب مبنى وتنسج يده المرهفة الحس ، كما ينسج العنكبوت خيوطه الرفيعة ، عالما من الحيطان والابنية في خيوط دقيقة زرقاء وحمراء وبنية وخضراء .. وباعلى هذه المباني قباب ولافتات تجارية ثم سماوات رصاصية وزرقاء .

ومنذ ان كان صغيرا مضى فيفين يغطي ابواب بيته بالرسوم . وعندما اعطاه قسيس القرية علبة الوان مضى يرسم سلسلة من المناظر الطبيعية المحيطة به . ولكن لما كان على المرء ان يكسب قوته فقد عارض ابوه في ان يتخذ التصوير مهنة له . وفي عام ١٨٨١ التحق فيفين بوظيفة صغيرة بمصلحة البريد والتلغراف حيث تدرج في وظائفها الى ان اصبح مفتشا . وفي عام ١٨٨٩ عرض لوحاته لاول مرة في نادي المصلحة . وفي عام ١٩٢٥ اكتشفه ولهيلم اوهد وشجعه .

وكان يسكن شقة صغيرة متربة في مونمارتر . ويخرج للرسم في الضواحي القريبة في بعض الاحيان . وكان الجيران يرونه بشعره الابيض الاشعث ولحيته الكثة وجبينه المغطى بالتجاعيد ونظراته المتعبة المدققة . وبابتسامته المتحفظة الساخرة الحزينة ، كان يبدو كفيلسوف جوال . وعندما بلغ الستين اعتزل الخدمة . وهكذا انتهت — على حد قوله — ايام الاستيقاظ في الخامسة صباحا للرسم على ضوء مصباح الكيروسين قبل الذهاب الى المكتب .

ولكن للاسف الشديد اصيب فيفين بالشلل في سنواته الاخيرة مما اضطره الى ان يتخلى عن الرسم مبعث سعادته الوحيد .

دومنيك بيرونيه

اما عن دومنيك بيرونيه فقد ولد في عام ١٨٧٢ ومات عام ١٩٤٣ . واشتغل عامل مطبعة قبل ان ينصرف الى التصوير في سن الخمسين . اجل في سن الخمسين . وقد جلب معه الى عالم التصوير ما اكتسبه من مهنته السابقة من دقة واناة . ولم يكن يخشى ان يعالج حتى اصعب الموضوعات الطبيعية .

ولقد كان البحر هو موضوعه المفضل . وكان يرسم بحرص شديد على الا يزيف الواقع وكان قادرا على ان ينتزع من المناظر المألوفة جوانب حياة خفية لا تخلو من السحر والفتنة اللتين نراهما عند روسو . وكانت له طريقته الخاصة في عزل كل شيء جاعلا منه كلا في حد ذاته . ونجد في ولائه موضوعه قسطا ضخما من الحماس في خدمة الطبيعة يدفع الواقع الى رؤيا نفاذة . وهكذا خلق بيرونيه عالما ساكنا مغلقا بجو رائق صاف يتقد بشاعرية تتعدى كل نظريات الفن المعاصر .

سيرافينا لويس

ولدت سيرافينا عام ١٨٦٤ وبعد طفولة امضتها في رعي الاغنام نزحت الى سينيلي حيث عملت خادمة . ويكاد الغموض يكتنف حياتها الاولى وكيف بدات الرسم . ويرجع الفضل الى ولهيلم اوهد في اكتشافها عام ١٩١٢ . فقد استأجر شقة صغيرة في سينيلي للاستجمام فترة من الوقت . وفي زيارة عابرة لاحد الجيران لفتت نظره لوحة طبيعة صامتة عبارة عن منظر بعض التفاحات على منضدة . وبسؤاله عمن رسم هذه اللوحة اجابه اهل انبيت انها الخادمة سيرافينا . ولقد قدر للوحات سيرافينا الاولى التي حصل عليها اوهد ان تصادر وتباع في اوائل الحرب الاولى . ومن ثم تبددت واختفت . على ان اوهد راى مرة اخرى بعد عدة سنوات لوحات لسيرافينا في معرض للفنانين المحليين وقد بهرته النظرة العميقة التي اتسعت بها اعمالها الجديدة فمضى يبحث عن سيرافينا التي اضحت امراة عجوز تعيش في غرفة حقيرة على سطح احد المنازل واغلقت بابها عليها . وقد اوقدت قنديلا صغيرا امام صورة للعذراء ليل نهار . لقد كرست سيرافينا الضئيلة القد ذات النظرة الصارمة والوجه الشاحب المحاط بالخصلات البيضاء ـ كرست نفسها للتصوير . وبمعاونة اوهد الذي سخا في تأييدها وامدها في النهاية بالقطع الكبيرة من القماش التي كان يحتاج اليها خيالها الفياض ـ بمعاونة اوهد حققت سيرافينا في خلال سنواتها القليلة الاخيرة انتاجا ذا مغزى روحي فريد .

ولم ترسم سيرافينا شيئا سوى زهورا وفاكهة . على انها لا تربط لوحاتها هذه بالزهور والفاكهة الطبيعية الا بروابط قليلة . اذ لم يكن لذلك الفيض الروحي الذي تجلى في لوحاتها اية اغراض وصفية . ربما كانت انعكاسات اشعة الشمس على الزجاج الملون في النوافذ والابواب الضخمة في كنائس سينيلي هو مصدر الهام سيرافينا المتدينة . ربما كان لهيب ذلك الزجاج الملون هو الذي اوحى لها بفكرة الايقاعات الصاعدة التي تبعث الحيوية والتأجج في تفاصيل لوحاتها الغريبة وتذكرنا اوراق الشجر في لوحاتها بريش الطاووس وباجنحة اندر الطيور . انه لشيء رائع حقا تلك الثروة اللونية المسحورة وتلك الدقة والثقة اللتان ابرزت بهما سيرافينا هذه الاشكال النابعة من خيالها ولا شك ان ذلك التوازن اللوني الخيالي الذي تتصف به لوحاتها هو فتح كبير في الفن الحديث ، لا يمكن ان ينبع الا من روح فنانة عبقرية مثلها .

ورغم ان سيرافينا ماتت عام ١٩٣٤ في احدى مستشفيات الامراض العقلية الا ان اعمالها تعد تعبيرا مباشرا عن مطالب روح الفنان الخلاقة .

كاميل بومبوا

ولد كاميل بومبوا في ساحل الذهب عام ١٨٨٣ . وكان ابوه يملك صندلا نهريا لنقل البضائع فأمضى طفولته على مياه القوات . ولقد احتفظ دائما بحبه للمياه المنسابة في هدوء تحت الكباري . وبعد فترة قصيرة من الدراسة ارسل في سن الثانية عشرة للعمل صبيا في الحقول وفي سن السادسة عشرة بدأ يرسم مشاهد مما يراه في حياته كراعي اغنام واجير حقول . ونظرا لقوته البدنية كان يهوى تحدي رفاقه في ميدان القرية . وما لبث ان اعتبر بطلا اقليميا في المصارعة . كما كان يحب التحرش بمصارعي فرق السيرك المتنقلة . وفي ذات يوم انضم اليهم . وما من شك في ان لوحاته تدل على ان حياة المصارعين ومروضي الوحوش والبهلوانات والاستعراضات الريفية قد زودته بموضوعات خصبة لفنه .

وفي ذات يوم شد ترحاله الى العاصمة ووصل اليها مشيا على قدميه واشتغل فترة من الوقت عامل طرق ثم حفارا في عملية شق نفق سكة حديد .

ولكن امتهانه لهذه الاعمال الشاقة لم يحل بينه وبين الفن ولم يتوقف قط خلال تقلبه في هذه المهن عن حلمه في ان يصبح مصورا . وحتى يدبر الوقت اللازم لتحقيق حلمه التحق بعمل ليلي في مطبعة . ومضى يعمل على هذا الوضع سبع سنوات لم يكن يذق خلالها النوم الا قليلا . وبعد جهد مضن امكنه ان يبتدع لنفسه اسلوبا خاصا ثم امضى اربع سنوات ونصف اخرى في حفر الخنادق .

وفي اواخر عام ١٩٢٢ عزم ان يعرض نتاج مثابرته الطويلة فأسند افضل لوحاته الى كرسي في الطريق العام ووضع بعض لوحاته الصغيرة الاخرى على الارض من حولها . واذا بلوحاته تلفت انظار الصحفي نويل بيرو واصبح شديد الاهتمام بها وكتب عنه مقالا في احدى المجلات الصغيرة . ثم اقبل مشترون ومعجبون اخرون . وكان في مقدمتهم ولهيلم اوهد وبفضل معاونته امكنه ان يكرس وقته كله للفن . وسرعان ما استقر به المقام في مرسمه الخاص .

ويقول النقاد ان بومبوا هو من ابرز حالات الفن البدائي . وهو ذلك الفن الذي ، كما قلنا ، يبين الطريق الذي يشقه الفنان الذي علم نفسه بنفسه مدفوعا من اول الامر باحساس فني غريزي لا يمكن تجاهله او انكاره . ولا يعتمد على اي اساس من الدراسة النظامية

الرسمية ويتغلب على كل الصعاب التي تضعها الحياة في الطريق . ومنذ الصبا كان التصوير بالنسبة لبومبوا تعبيرا عن طاقة روحية ضخمة كامنة في اعماقه . وعندما يصور الناس يضفي عليهم ثقلا اضافيا ويضخم محيط اجسامهم . ولم يكن الدافع الى هذه التضخيمات اعتبارات تشكيلية ، بل كان نتيجة لاحتكاكاته بصعوبات الحياة الواقعية التي تغلب عليها واثبت انه اقوى واضخم منها . لقد كسب بقوته البدنية الحق في ان يكون فنانا واعانه مضاء ساعده على ان يشق طريقه وسط الفقر وشظف العيش الى ان يكون مصورا . لقد حملته فأسه الى ان يرتفع الى المستوى الذي يحلق فيه خياله في اجواء جمالية لم يحلق فيها احد من قبل وان يبتدع مفهوما خاصا للجمال .

ان شخوصه تتصف بانها شخوص نابضة بالحياة تغلي الدماء في عروقها وتنتصب واقفة على سيقان راسخة . قد تكون بطونها خاوية ولكن عقولها وقلوبها مليئة عامرة . وقد استخدم فنه كلية لتصوير مثل هذه الشخصيات . ان شخصياته لا تعرف الانكسار . انها شخصيات شامخة تطل عليك من لوحاته في تحد وقد لمع في عينيها بريق الاستهزاء بالصعاب وارتسمت على شفتيها ابتسامات ساخرة . انها شخصيات كادحة طموحة مشرقة متفائلة . وانه لسعيد بها .

ادوارد هيكس

ولننتقل الان الى امريكا لنقول كلمة عن بدائي آخر من بدائيي القرن العشرين . وهناك العديد من المصورين البدائيين في امريكا ، من امثال جوزيف بيكيت وجون كين وجراند ماموزس . على ان اعظمهم ولا شك هو ادوارد هيكس الذي سنعني بالكلام عنه هنا .

ولد هيكس في احدى قرى بنسيلفينيا عام ١٨٧٠ وفقد ابويه في سن مبكرة فتبناه قروي متدين هو دافيد تونينج وزوجته اليزابيث . ورباه تربية دينية . وفي سن الثالثة عشرة ارسل ليتعلم صناعة العربات . وخلال سبع سنوات من التدريب الشاق تعلم الفتى ان يشيد عربة متكاملة البنيان وان يدهنها باللون دهانا طيبا . على انه اضاف الى صنعته عملية تكميلية جديدة هي رسم الشعارات على العربات . وفي رسمه للشعارات امكن لهيكس ان يخطو خطوة اخرى . اذ ان الذي يطلب شعارا يريد عادة ان يقرنه بصورة . وكان هيكس على استعداد دائما لارضاء عميله . وذات مرة كلفه صاحب حان ان يضيف الى الشعار المرسوم على العربة صورة له وهو يقود عربته ذات الاربعة جياد . وعندما قدم له هيكس الصورة المطلوبة احتج الزبون قائلا ان الرجل الذي رسمه جالسا يقود العربة بدا ثملا . فأجابه هيكس على الفور ولكنك تبدو عادة على هذا النحو يا سيدي ، وقد اردت ان تجيء الصورة طبيعية !

وتتصف لوحات هيكس بمتانة التركيب تماما كالعربات التي كان يصنعها . ولا شك ان احساسه بالبناء ونظرته الصائبة في تنظيم العناصر المرئية في المساحة التي تتكون منها اللوحة هو الذي جعل منه فنانا حقيقيا . ولم يكن يهاب ان يعالج ابعادا متنوعة من المنظور بكل احكام ووضوح .

وهذه المتانة الاصولية تسمح للمشاهد ان يستمتع بالموضوعات المرسومة بكل سذاجة وبدائية . وعلى الاخص ذلك الموضوع الذي لم يكن هيكس يمل من رسمه المرة تلو المرة . والتي اشيع انه رسمه اكثر من اربعين مرة . انه موضوع « المملكة المسالمة » : الاسد المستغرق في التفكير في شئون رعيته ولا شك ... الفهد في تحفزه وترقبه .. الحمل الراقد في وداعة بين مخلبي الذئب . وهناك الطفل الصغير يتولى قيادتها على الدوام . انه موضوعه المفضل الذي تشع منه براءة رائعة الجمال . وفي عام ١٩٤٩ مات ادوارد هيكس .

واخيرا هناك بعض الابيات من ترنيمة قديمة تلخص كل ما يعنيه الفن البدائي . اذ تقول : طوبى للذين صفت قلوبهم – وتحررت من المكر افكارهم – طوبى لهم ، اذ سيتجلى الله لهم – وسيرون على الارض مجده !

القاهرة — نعيم عطية

انشودة

•

انت النور
الذي يملأ كوني ضياء
انت الايمان
الذي يهتدي قلبي بهداه
انت الحنان
الذي تغمر به الام وحيدها الرضيع
وانت الجمال
الذي اضفاه الله على الطبيعة الفتانة
انت الانغام الساحرة
التي تشدو بها الطيور بكرة واصيلا
وانت الانسام الذكية
التي تتثنى لهبوبها الاغصان
انت الاحلام
التي تداعب غفوات العاشقين
وانت المحبة
التي بها تتماسك ذات هذا الكون
فلا يعروها الانحلال

وشنطن — صفية ابو شادي

مريانا مراش شاعرة حلب

بقلم عيسى فتوح

***

الشاعرة مريانا مراش هي شاعرة حلب بين ١٨٤٨ – ١٩١٩ . انها اخت العالم الطبيب والشاعر الاديب فرنسيس مراش . ولا اخالني اكتب عنها اكثر ما كتبه الاستاذ الاديب سامي الكيالي الذي كفى ووفى فأشبعها بحثا وتحليلا ودراسة في اكثر ما كتب ... فهي حلبية الاصل والمنشأ نبغت في زمن لم تكن بضاعة الادب فيه نافقة كاليوم .

قلت ان الاديب سامي الكيالي كتب عنها ما لم يكتبه احد غيره ، تقصى ادق الجزئيات ، ومحص اوهى الروايات ، جاعلا ديوانها الصغير « بنت فكر » منطلقه في كل ما كتب ، فأفرد لها بحثا خاصا في العدد التاسع من مجلته « الحديث » ١٩٥٧ . وعرف بها احسن تعريف حتى صار ما كتبه عنها مرجعا خصبا لكل باحث يريد الالمام بأدبها او التعرف الى زوايا من حياتها ... وانا هنا يسعدني ان اكون عالة عليه فيما انقل اليكم دون اطالة .

ولدت مريانا مراش في حلب عام ١٨٤٨ ، وفي بيت عني الاب والاخ فيه بقضايا الادب والفكر ، فمنذ ان فتحت عينيها للنور ، رات نفسها محاطة بالكتب ، وعندما ايفعت بدات تتلمذ على اخيها فرنسيس الذي لقنها اصول العربية ، اما الفرنسية فتلقتها في مدرسة راهبات مار يوسف .

غير ان ما اخذته عن اخيها لم يكن لينقع غليلها ، ويروي ظمأها الى العلم ، لذلك التفتت الى ابيها فتح الله مراش تدرس عليه العروض والنحو والصرف ، ولم تقف عند ذلك بل طفقت تتعلم الموسيقى على نفسها حينا ، وتتلقى بعض الدروس في العزف على البيانو حتى اتقنت ذلك كله .

وما هي الا سنوات واذا الفتاة تأنس من نفسها القدرة على النظم ، فنظمت قصائد رائعة نشرتها في مجلة «الجنان» التي كان يصدرها المعلم بطرس البستاني ، وجريدة « لسان الحال » لخليل سركيس ، وكتبت مقالات نثرية « تنتقد فيها عادات بنات عصرها ، وتحضهنّ على التزين بالعلم والتحلي بالادب » .

يقول الاستاذ سامي الكيالي « كانت مريانا مراش تنتقد التقعر في اساليب الكتاب ، وتدعو بنات جنسها الى معالجة الكتابة والى تحسين الانشاء ، وتنويع الموضوعات والتفنن فيها ، وقد سافرت الى اوروبا ، واطلعت على اخلاق الاوروبيين وعاداتهم عن قرب ، فاستفادت منهم كثيرا ، ثم عادت الى وطنها تبث بين بنات جنسها روح التمدن الحديث والاخلاق الصحيحة » .

ان ما خلد هذه الشاعرة ليس ديوان شعرها فقط ، وانما صالونها الادبي الذي يعتبر اول صالون ادبي في الشرق ، شاهدت مثله الكثير في اوروبا ابان رحلتها ، ثم عادت الى حلب لتقيمه على نسق شرقي خالص وتسبق فيه مي زيادة في مصر .

لقد كان رواد صالونها من ادباء حلب في ذلك الزمان امثال : قسطاكي الحمصي ، وجبرائيل الدلال ، وكامل الغزي ، ورزق الله حسون ، يعيشون فيه كأسرة واحدة ويتطارحون الشعر ، كل واحد منهم يلقى ما نظمه في فترة غيابه عن الصالون ، واما مريانا فكانت تلف الجميع بأغمار الحب والانوثة والمرح وتوزع ببراعة فائقة ظرفها ، ورقة شمائلها ، واشراقات مبسمها العذب حتى يخرجوا وهم يلهجون بلطفها وطيب معشرها ، مسحورين بأنغام بيانها الذي كان يخضب الشعر بالموسيقى .

ان من يتصفح ديوان مريانا مراش يجد فيه قصائد بعضها في المدح ، وبعضها الاخر في الغزل والرثاء وشعر المناسبات . ذلك ان مريانا مدحت بعض رجال السلك القنصلي الذين كانوا يفدون على صالونها ، كما مدحت بعض رجال الدولة من اتراك وعرب . ولا يقعن في خلدنا انها كانت تمدح بغية صلة من مال او عطاء ! كلا ! .. ان مدحها اعجاب وتقدير ليس غير ... مدح اصدقاء تعرفهم ويعرفونها ، فلا غرابة ان هي عبرت عن حبها لهم بشعر ينضح بالود ويفيض بالاخلاص ويبعد عن التزلف بعد السماء عن الارض ... فمن قولها تمدح السيد ايدانوف قنصل روسيا :

بزغت شموس السعد بالشهباء   فجلت لياليها عن الظلماء
قشعت غيوم الضيم عنها فانجلت   كعروسة تزري ببدر سماء
وغدت بها السكان تمرح بالهنا   وتجر ذيل مودة وصفاء

اما رثاؤها فيكاد ينحصر في اهلها واقربائها ، وكلهم عزيز عليها ، اثير عندها . رثت اخاها فرنسيس المتوفي سنة ١٨٧٣ رثاء ينم عن عاطفة ولا عاطفة الخنساء نحو اخيها صخر . وما دام تجانس المصاب قد جمع بينهما – كلتاهما فقدت اخا شابا كريما عليما شهما – فلا غرو ان تلتقيا في اكثر من نقطة ، وتتقابلا في اكثر من زاوية ، ويقع الخاطر على الخاطر كما يقع الحافر على الحافر ، فلجأت مريانا الى تعظيم اخيها ، واظهار فضله وعلمه وادبه وشهرته وذيوع خبره وتهويل فاجعتها به ، حتى انها اشركت الورق والازهار والرياض ومظاهر الطبيعة كلها من جو وماء . وهي لا تخفي تأثرها بالخنساء بل تصرح به تصريحا فتقول :

ما لي ارى أعين الازهار قد ذبلت   ومال غصن صباها من ذرى الشجر
ما لي ارى الروض مكمودا وفي كرب   والماء في انة والجو في كدر
ما لي ارى الورق تنعي وهي نادبة   فراق خل وتشكو لوعة الفير
نعم لقد سابق الاحياء اجمعها   ونام ذا اليوم مطروحا على العفر

من فقه الناس في علم وفي ادب ونور الكل في شمس من الفكر
ابدى من الفضل ضوءا لا خبو له والشمس شمس، وان غابت عن النظر
وانه بحر علم لا قرار له وقد حوى كل منظوم من الدرر
هذا الذي جابت الاقطار شهرته قد صار مطرحا في اضيق الحفر
خنساء صخر بكته حينما نظرت اليه ملقى بلا سمع ولا بصر
اقلام اهل النهى ترثيه واأسفي هل عاد من عوده يا مفرد البشر
مذ غاب شخصك هذا اليوم عن نظري جادت عيوني بدمع سال كالمطر

ما لي اطنب في وصف عاطفتها وعاطفتها كعواطف كل امرأة ، وهل تحتاج عاطفة المراة الى اثارة او دفع او تحريك لتتفجر ؟ ! أفلا يغني ان اقول : انها عاطفة اخت وكفى ! ؟

ولمريانا هذان البيتان في رثاء صبية من نسيباتها توفيت محترقة بالبترول :

عفافة نفس مع بديع محاسن ورقة اعطاف فلله كم تسبي
لقد جمعت ضدين في حد ذاتها ففي اللحظ ايجاب يشير الى السلب

اما غزلها فهو الوجه الاخر المناقض لرثائها لان كلا الفنين يقوم على العاطفة الرقيقة والوجدان الحي المنصهر . . انه صدى لحبها العميق وتأثراتها الداخلية ، فلنسمعها تقول :

بذكر المعاني هام قلبي صبابة فيا نور عيني هل اكون على القرب
عسى الشمس في مرآك للعين تنجلي فتنقل للابصار ما حل بالقلب

ولنسمعها تشطر احدى قصائد الغزل الشهيرة — والتشطير كان موضة ذلك العصر وما قبله — فتصف افاعيل الغرام بالمغرمين ، وثبات بعضهم على الحب لا يروم لسنته تبديلا :

للعاشقين باحكام الغرام رضا يمسون صرعى به لم يأنفوا المرضا
لا يسمعون لعذل العاذلين لهم فلا تكن يا فتى للجهل معترضا
روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا ذاك الذمام وقد ظنوا الهوى عرضا
جاروا وما عدلوا في الحب اذ تركوا عهد الوفي الذي للعهد ما نقضا
قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا وكان يزعم ان الموت قد فرضا
اصابه سهم لحظ لم يبال به فمات من حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا فما ابتغى بدلا منهم ولا عوضا
تقطع القلب منه بانتظار عسى فسام صبرا فاعي نيله فقضى

وقبل ان انفض يدي من هذه الكلمة لا بد ان اشير الى لون اخير من شعرها كان بمثابة حجر الفلق في مدماك البناء الشعري ، او هو الحلقة الذهبية التي لا تتم دورة النظم الا بها . تلكم هي الحكمة منسرح نظرات الشعراء ني الحياة ومنطلق ارائهم الفلسفية . . . انها القالب الذي يصب الشعراء فيه تجاربهم او الاناء الذي يستوعب اختباراتهم . تقول الشاعرة :

شرف الفتى عقل له يسمو على كل الورى فينال غايات المنى
وكذاك حسن الخلق فخر مسدد متسربل بالعطف نعم المقتنى
والمرء ان شهدت له افعاله بالفضل والاداب يكتسب الثنا
ما كل من طلب الكرامة نالها من رام صيد الظبي حل به العنا
ذو المال يذهب ذكره مع ماله لكن ذكر الفاضلين بلا فنا

ان ضيق المجال يضطرنا للوقوف عند هذا القدر من شعر مريانا مراش ، ولو اتسع لاوردت لكم من كل فن نماذج تدل على طول باعها وسعة افقها في دنيا القريض .

لم يصف الدهر لمريانا كل الصفاء ، فبعد ان فقدت اخاها — الذي كف بصره — واباها وامها تسلطت عليها الادواء حتى افقدتها صبوتها ، وصبغت وجهها الزاهي بالوان الموت ، لكنها كانت تتغلب على يأسها بلمسات رقاق من بيانها الساحر فتشيع في نفسها الامل بالبقاء مدة اطول الى ان انتزع الموت اخر سهم في كنانتها عام ١٩١٩ .

ان مريانا مراش وماري عجمي وجهان كلاسيكيان اصيلان لمعا في دنيا الشعر النسائي في سورية كما لمعت وردة اليازجي ووردة الترك في لبنان وعائشة تيمور في وادي النيل .

سورية — اريحا **عيسى فتوح**

الخوف

للشاعر الهندي ساحر لدهيانوي

هذا ظل الابتسامة مرتسم على شفتيك
يتكرر ظهوره في خيالي
أتذكر خديك فجاة هكذا
مثلما تشتعل الشموع في الظلام

هذا عطر الثوب الملون يثير جنوني
فيستحيل الى احلام تموج في خيالي
في الليل البارد الساكن ، في كل هبة ريح
تأتي بانفاسك وحرارة جسمك

انا قادر ان اعلن هذه الاسرار المشتعلة
ولكنني خائف من افشائها
انني استطيع ان اتكلم عن احلامي في النهار
ولكنني اخاف من تفسير هذه الاحلام الجميلة

لهائك ونظراتك الصامتة
قد تكون في الواقع لعبة مصبوغة
انا افكر ان هذه الاطوار هي الحب
ربما يكون الابتسام والكلام من عاداتك

افكر بعد لقياك وانا في التفكير
اريد ان اعرف ما هو حظي من هذا التفكير لاقول
انا في مدينتك غريب واجنبي
كي افهم معنى عطفك لاقول

وعندما ترتجف ساقاي
ولم آخذ نجدة من زنديك البيضاوين
ان دموعي تذرف في الليالي السود الصامتة
ولم احصل على ذيل ثوبك الحريري

الكوفة **محمد مسعود صديقي**

درس لا انساه

بقلم سلمى لحام العطري

دقت الساعة عشر دقات ، فرفعت راسي بقلق واضطراب ، ونظرت الى الساعة المعلقة بالحائط لاتاكد من صحة ما سمعت ، فاذا بها تشير الى العاشرة فعلا .

تنهدت بحيرة وحزن، ووقفت امام الشرفة انتظر قدوم نبيل ، تتنازعني الافكار والاوهام : اين هو الان ؟

هل هو في مكتبه كما يزعم ؟

يستحيل ان اصدق !

منذ شهرين او اكثر ، ونبيل دائم السهر خارج المنزل ، وكلما سألته في ذلك اجاب بشيء من الحدة :

اين كنت واين ذهبت ومع من ، كل يوم تفتحين معي هذا التحقيق ؟ انها حياة لا تطاق !

شعرت بمزيد من الحزن والمرارة يستوليان على كياني ، وانسابت الدموع حارة على وجنتي .

لقد بدا نبيل يتغير واصبح نبيل الامس غيره اليوم ، كان يشعر بالسعادة والهناء عندما كنت اسأله اين امضى سهرته ومع من ؟ فكان يعانقني بحرارة وهو يقول :

سلوى احبك ، واحب غيرتك لانها دليل على اخلاصك وحبك .

واذا الححت بالسؤال عليه قبلني ثانية وهو يضحك قائلا :

اذا اردت ان تسكت المراة وتستريح من ثرثرتها فقبلها ! . .

اما اليوم فقد تغير وبات يضيق بي وبالحياة معي ولكن لماذا ؟ . .

هل سئم حبي ؟ وهل صحيح ان الزواج يخمد الحب ؟ ام . . ان هنالك امراة اخرى في حياته ؟

احسست بالنيران تتقد في فؤادي ، والدماء تفور حارة في عروقي ، وفركت كفي باضطراب وحيرة وقلق .

ترى من هي التي شغلت عني بها ؟ واخذت ابحث في ذاكرتي منقبة عن غريمتي وتذكرت فجاة ما قاله نبيل لي منذ ايام .

ان سيدة ثرية وشابة طلبت منه ان يشرف على هندسة بناء « فيلا » لها ، نعم لا شك انها هي التي يحبها.

عضضت على بناني من الالم واخذت اذرع الغرفة جيئة وذهابا يتملكني الحزن والغضب .

لا شك انه الان عندها، انه يحدثني عنها باستمرار ويبدو مهتما بها ، لا بد ان تكون هي التي شغلته عني بها .

سمعت صفق باب سيارة فجاة فأسرعت الى الشرفة لعل نبيلا قد اتى ، ولكن املي خاب وظني كذب فهذه سيارة جارنا — احمد بيك — ورفعت راسي الى السماء اشهدها على عذابي وحيرتي والمي .

كان القمر يتربع على عرشه كعروس بارعة الحسن والجمال . تحيط به النجوم ، كما يحيط المدعوون بالعروس . وهبت نسمات الربيع تحمل عبير ازاهيره ووروده فاثارت شجوني ، واخذت استعيد قصة حبي مع نبيل ، واستعرض شريط حياتنا الماضية ، عندما كنت طالبة في آخر صف اعدادي .

قرب الامتحان فسألت والدتي ان تحضر لي استاذا يعطيني دروسا في الرياضيات ، فقد كنت ضعيفة بها . وكانت جارتنا — لطفية خانم — موجودة عندنا فقالت لامي :

لماذا الاستاذ ؟ اخي يعطيها الدروس التي تريدها ، فهو طالب في آخر سنة من كلية الهندسة ، واعتذرت والدتي بلطف شاكرة ، فهي لا تريد ان تثقل عليه ، ولا سيما انه طالب ومشاغله الدراسية كثيرة .

ولكن — لطفية خانم — الحت ، فقد كانت تحبني وتعتبرني اختا لها ، وافقت والدتي على ذلك واتفقت مع لطفية خانم ، على ان ياتي نبيل الى منزلنا مساء كل يوم . شعرت بمزيد من الارتياح والسرور عندما وقع الاختيار على نبيل مدرسا لي ، فهو شاب في الرابعة والعشرين من عمره، طويل القامة نحيل الجسم جميل الطلعة ، لطيف المعشر ، يشعر المرء حين يراه بالارتياح والثقة .

واخذ نبيل ياتي كل يوم ، فنجلس معا ونحل مسائل الجبر والهندسة ، بحضور الرقابة : اخي سمير .

تقدمت للامتحان ، وكان نبيل دائم السؤال عني وعما كتبت ، فكنت اطمئنه واخبره بما كتبت فيبتسم بفرح قائلا : انني اضمن لك النجاح ان كنت كتبت كما تقولين .

فأصيح بشيء من النزق : وهل تظنني اكذب ؟

ونجحت كما نجح نبيل ، وفرح كل منا للاخر . اما نبيل فقد اصبح مهندسا وافتتح مكتبا انيقا ، ودخلت انا المدرسة الثانوية ، وذات يوم رايت نبيلا في الطريق ، وحييته بلطف وسرنا معا جنبا الى جنب فقال لي :

سلوى اريد ان احدثك حديثا هاما ، واخذ يبحث عن كلمات يبدا بها حديثه . ونظرت اليه فتلاقت نظراتنا . وفهمت ماذا يريد ولكني تجاهلت قائلة : ماذا تريد يا نبيل ؟

قال بعد جهد :

اريدك انت يا سلوى فانا احبك . هل ترغبين ان تكوني شريكة عمري ، انني في بدء حياتي العملية وامامي مستقبل باهر ، واتمنى ان تكوني معي لتشدي من ازري وتدفعي بي الى الامام .

اطرقت راسي ، وتسارعت دقات قلبي . ثم اردف قائلا :

لا اريد منك جوابا الان سأتركك



تفكرين بالامر .. وسأتصل بك غدا بالهاتف الساعة السادسة لاعرف رايك .

لم انم ليلتها من الفرح ، فقد كنت احب نبيلا واعتقد انه شاب مثالي ، لن يتقدم لي خير منه ، وانتظرت بفارغ الصبر قدوم الغد . وفي الساعة السادسة رن الهاتف فاسرعت الى نداءه ، ورفعت السماعة بيد مرتجفة وقلبي يخفق بشدة وكان المتكلم نبيل وبكثير من الصعوبة اخبرته بموافقتي .

تحقق املي واصبح نبيل زوجي فكان مثال الزوج المحب العطوف .

مضت سنة على زواجنا حين بدات اشعر بتغيره ، وتبدل معاملته . وقطعت تفكيري دقة الساعة وهي تعلن العاشرة والنصف .

احسست بالحرقة والعذاب ، لا بد انه الان مع حبيبته يحادثها ويلاطفها . وامسكت راسي كأني امنعه من التصدع ، ولكني عدت الى نفسي الومها واعاتبها على هرائها واوهامها . ودخلت غرفة زوجي لاتناول كتابا اطالعه ، ريثما يعود نبيل ولفت انتباهي مغلف ازرق على منضدته فاقتربت واخذت المغلف وفتحته بيد مرتجفة . ونظرت الى التوقيع فاطمأن خاطري وتنهدت بارتياح، فقد كان من صديقه محسن.

شرعت بقراءة الرسالة ، فلم اجد بها ما يستحق الذكر . رسالة عادية يطلب فيها من نبيل الحضور الى بيروت . وهممت بطي الرسالة واعادتها ، ولكن لفت نظري ملاحظة صغيرة ما ان قراتها حتى كاد يغمى علي ، فاعدت قراءتها مرات :

« تينا بشوق اليك فهي لم تزل تذكر عطفك وحنانك . »

انفجرت باكية منتحبة واستولى علي حزن قاتل ، لقد صدق ظني انه مشغول بامراة اخرى ولكن من هي تينا ؟

سمعت صوت الباب يغلق فتهيأت للثورة ، وخرجت من غرفة نبيل لاجابهه بالحقائق ، وما ان وقع نظره علي حتى اسرع قائلا :

انت هنا يا حبيبتي انني ابحث عنك ؟ قلت بعصبية :

نعم انا هنا ... اين كنت ؟ في المكتب اليس كذلك ؟

فنظر الي وراى عيني المحمرتين فقال

ما بك اكاد اجن من تصرفاتك السخيفة وغيرتك الحمقاء فنظرت اليه بحنق وغيظ ثم انفجرت باكية ، وتنهد نبيل .

ثم قال بعصبية : اريد ان اعلم سبب هذه المناحة يا سيدة العصر والاوان ... ماذا فعلت ماذا جنيت وماذا اجرمت ؟ فصرخت قائلة : لم تفعل شيئا انك بريء مظلوم هاك انظرالى الدليل القاطع على خيانتك . .

والقيت له الرسالة، ففتحها وقراها ثم نظر الي بسخرية وقال :

من اجل ذلك هذه المناحة كلها ؟

قلت بعصبية وغضب : نعم من اجل هذا ايها الخائن الغادر ! ولم ينبث ببنت شفة ، بل دخل غرفته واخذ يخلع ثيابه فلحقت به وسألته بحدة:

— من هي تينا ؟ أمن اجلها سافرت الاسبوع الماضي الى بيروت دون ان تصحبني ؟ قال بجفاء :

نعم وسأسافر غدا الى بيروت ، فصرخت كمن لدغته عقرب : لن ادعك تسافر الا برفقتي سأذهب معك لارى ولالقن تينتك هذه درسا لا تنساه !

قال بجفاء : لك ما تريدين. نهضت مبكرة واخذت اتهيأ للسفر فانتقيت اجمل الثياب ، وتزينت بأبهى زينة واطلت الوقوف امام المرآة وقلت لنفسي : سأرى من هي تينا ، ترى هل تفوقني حسنا وبهاء ؟

انطلقت بنا السيارة ، وبعد ثلاث ساعات كنا نقرع باب منزل صديق زوجي ، فاستقبلنا بحرارة .. وبعد ربع ساعة خلتها ساعات سمعت زوجي يقول :

سلوى تريد التعرف بالانسة تينا وقد حضرت خصيصا من اجل رؤيتها؟

فنظر اليه صديقه باستطلاع وتعجب، ثم خرج وهو ينادي : تينا . .

اخذت اصلح هندامي ، فاخرجت مرآة من حقيبة يدي ومررت بالقلم الاحمر على شفتي نظرت الى زوجي فاذا به يبتسم ، فساورني الشك لماذا يبتسم ؟ وما معنى ذلك ؟

ليبتسم ما شاء ، سأرى الان تينا التي شغل بها ، ولكن ماذا اقول لها ؟ لن اقول شيئا ، بل سأتجاهل علاقتها بزوجي، وبعد ذلك سأرى ماذا افعل.

جاء محسن بعد دقائق وبصحبته كلبة بيضاء جميلة . نظرت اليه وسألته بحدة : اين الانسة تينا ؟

فانحنى بسخرية واشار بيده معرفا : الانسة تينا ! . .

فشهقت وشعرت بعرق الخجل يتصبب من جبيني ، ولم ادر ماذا اقول : فالتفت نحو نبيل فرايته ينظر الي نظرة انتقام وتشف .

خرج صديقه بالكلبة ، فالتفت الى زوجي وقلت بغضب :

لماذا لم تخبرني بالحقيقة ، ام ترى احببت ان تجعل مني اضحوكة ؟

قال لي : وقد رق صوته :

هل تركت لي فرصة للتكلم والدفاع عن النفس ، حتى لو اخبرتك بالحقيقة فلن تصدقي ، فانا اعرفك تماما واعلم شدة غيرتك، وضعف ثقتك بي. فاجبت والدموع تترقرق من عيني :

انني آسفة يا نبيل على ما بدر مني ولكنك انت السبب ، لقد فتر حبك وتبدلت معاملتك ولهذا اخذت اشك بكل شيء. فعانقني وهو يقول :

سلوى الغالية : لقد اردت ان القنك هذا الدرس لكي تكفي عن غيرتك الحمقاء . انني احبك حتى الموت . ولكن علي ان اكافح من اجلنا ومن اجل القادم الصغير .

احسست بالدموع تترقرق في عيني، دموع الفرح والندم والاطمئنان.

دمشق سلمى لحام العطري

الصــــورة الفنيـــــة

بقلم يودي ريوريسكوف

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

***



المناقشة الدائرة الان تبدو القضية واضحة على شكل هذا السؤال : هل يمكن فصل اسلوب الكاتب عن الخيال ، او بكلمة اخرى ما العلاقة بين الكلمة والصورة ، والاولى ذات مدلول لغوي والاخيرة ذات مدلول جمالي ؟

يقول الكسندر يفيموف في البدء كانت الكلمة وكذلك يقول بيوتر بستوفويت مع بعض التحفظات . على حين يقول فاديم فازارينكو وفلاديمير ثوربن وبيوتر باليفسكي : ني البدء كانت الصورة .

ينكر يفيموف الفكرة الخيالية ويتجاهلها تماما في تحديده للاسلوب . ومما ذهب اليه : اذا كانت التفاصيل الفنية ـ في اسلوب الكاتب ـ لا تعكس خياله فهذا الخيال لا وجود له كفكرة مدركة للعالم . اما بستوفويت فلا ينكر ان الكاتب يفكر بصور ، ولكنه يحسب المسألة كلها منطوية في الكلمة : ان الكاتب ينتقي الكلمات وبربطها المحكم الماهر يخلق « الخيال الذي هو صنف من صنوف الاسلوب . » ومن اجل تعزيز نظريته يلجأ الى مقارنة تصويرية فيقارن الكاتب بالبناء الذي يستخدم الكلمات بدلا من الاجر او القرميد فيما يبنيه من « بناء » خيالي بما فيه من طوابق وممرات وغرف . ومهما يكن من امر ، فان المقارنة بين (البناء) الخيالي و (البناء) الاعتيادي التي تبدو من صالح « الاسلوبيين » هي التي تحطم نظرياتهم في الواقع . اذ الدار لا تبنى من السقف بل من الاسس كما يعترف بذلك كل من يفيموف وبستوفويت ، ولكنهما يبنيان دارهما من السقف .

ومع ذلك فحين تبني دارا تضع الخرائط المناسبة للبناء ، اي تكون لك فكرة عما تريد فعله . ومن هنا انت تبدع « خيالا » وعلى وفق هذا الخيال تبدأ بوضع الآجر او الطابوق على ان يطابق ذلك الخطة الموضوعة لبناء الدار . ومع آلية هذه المقارنة فهي مسودة تنبيء عن الطريقة التي يستخدمها الكاتب في عمله . ومع ذلك ، فليس « الاجر » اللفظي هو الذي يولد الصورة ، بل الصورة المتكونة في ذهن الكاتب هي التي تتجسد في الكيان المادي الذي ينتظم في كلمات تعبر عن الفكرة والمحتوى . وعلى ذلك فالكلمة هي الواسطة المباشرة للتعبير عن الواقع في فكرة من الافكار .. اما الصورة فهي فكرة ايضا ولو من نوع خاص (١) اذ انها لا تولد من الكلمة ، بل من انعكاس الحياة ني ذهن الفنان ، المتمثل في شكل لفظي ضروري لتجسيده . وقد تولد الفكرة الخيالية بيسر وسهولة احيانا كثيرة ، فتكون ملتصقة بالكلمة اشد اللصوق ، وهذا ما يعرف عادة بالفكرة « السعيدة » اي ان خيالا «سعيدا» ولد في لحظة من لحظات الالهام . وهنا ايضا ، حين تتطور الصورة وتتكامل فجأة في كلمات ، انما هي تسبق الكلمات كوسيلة خاصة من وسائل الفكر ، كشكل خاص من اشكال ادراك الحياة ، وعلى هذا فنمو الصورة وتكاملها في الكلمة هما اللذان يشيران الى مولد الصورة الادبية .

ولكن الامور تجري احيانا في الفن بصورة مختلفة ، فقد تتولد في ذهن الفنان صور مرئية او مسموعة بغير وجود كلمات للتعبير عنها ، وهنا لا بد من البحث عنها وانتقائها او نبذها . وهذا البحث عن الكلمات يعرف في الادب تقليديا بالآم المخاض الادبي ، وهو اكثر من ذلك اذ هو مخاض الفكرة الخيالية ، التي ما ان تتبلور حتى تبحث جادة بين جمهرة الكلمات عن الكلمة المناسبة لها القادرة على التعبير عن اعماقها وصفائها بدقة وكفاءة .

ولا تبدأ هذه الالام الا حين تتجمع الخطوط الرئيسة للفكرة الخيالية وتجد لها متنفسا في الكلمة متجسدة فيها ، وبذا تصبح صورة ادبية . ومن هنا فنمو الصورة واخذ مكانها في النظام اللفظي ، اي تجسدها هو ما يدعى بمخاض الابداع والخلق . وعلى ذلك ، تلعب الكلمة دورا عظيما ، لا بكفايتها الخاصة كوحدة لغوية (ولو ان هذا مهم) بل كدعاء مادي للفكرة الخيالية .

والكلمة تقوم بدور عظيم في الادب لا كمجرد كلمة بل كاناء لغوي يحتضن خيال الكاتب بادراكه للحياة وسبر اغوارها . فليس في الادب الحق (ابداع للكلمة) بل (ابداع للصورة) التي تتخذ شكلا ماديا بالكلمات ، وتعبر عن نفسها بهذه الواسطة التي لا تنفصم منها ، على الرغم من ان الصورة هي الآمرة الناهية .

والكلمة والصورة لا يمكن توحيدهما في كيان واحد ، كما لا يمكن توحيد السلك والتيار الذي يجري فيه . فالتيار يمكن ان يوجد دون وجود السلك الموصل ، كما هي الحال في البرق . وهذه الوضعية تنطبق على الصورة ايضا ، فهي موجودة في اشكال مختلفة كالموسيقى والرسم والنحت ، وعلى ذلك ليس ضروريا ان تكون في شكل لفظي حسب .

الصورة هي شكل خاص من انعكاس الحياة ، هي

---

(١) طبيعي ان يكون جانبا واحدا من المسألة ، اذ الصورة الفنية ليست انعكاسا للحياة حسب ، وليست « فكرة » بل « شيئا » « موضوعا » « نتاجا » لضرب معين من ضروب الفعالية ـ الفعالية الفنية . وهي تتضمن دائما منطق « الفكرة » و « الموضوع » اي منطق المثال والمادة . ولكننا هنا نعالج الصورة كوحدة كيانية من وحدات الفكر الفني ، ولهذا نعدها مجرد امتداد واحد له .

(انطباع) بل (سبيكة) منها . ولا تستعمل الكلمات في الادب الا كوعاء لتلك الصورة المثالية . ولنضرب لذلك مثلا ، نحن نقرأ في (آنا كارنينا) كيف ان كارنين « ابتسم ابتسامته المعهودة التي اظهرت اسنانه دون ان تعبر عن شيء . » هذه العبارة تشمل صورة واحدة مع عدد من الكلمات . ووراء منظومة الكلمات نجد « صورة اعتيادية » وجها جافا ، فما يتحرك حركة ميكانيكية ، واسنانا تظهر بغير عاطفة . فصورة « الإبتسامة » تكوّن (محتوى) المنظومة اللفظية ، كما تكوّن الكلمات التي تعبر عن هذا المحتوى (الشكل المادي) للصورة ، ومن هنا يجري تيار الصورة داخل الكلمات .

وعلى ذلك ، فالصورة انطباع ذهني للعالم ، بكيانها الخاص وقوانين تكوينها ، من وجهة النظر الجمالية .

اما علم اللغة فلا يدرس الفكر الخيالي او اشكال الادراك ، بل هو يتناول الكلمات في علاقاتها اللغوية الخاصة وهذا امر طبيعي ، ففي اللغة تكوّن الكلمة او مجموعة من الكلمات جزءا من اجزاء الكلام ، جزءا من جملة الخ واذا ما نحن اخذنا الكلمة هذا المأخذ بعزلها عن الفكرة الخيالية لاستحال علينا فهم قيمتها الجمالية ، ودورها الخاص في الادب .

وطبيعي ان خيال الفنان حين ينتقي الكلمات التي تعبر عن محتواه بكفاءة ، انما يفعل ذلك بغير ان يغير قوانين اللغة واصولها وفروعها ، فهذه جميعا تبقى على ما كانت عليه من سطوة وسلطان . ومع ذلك فهي تقوم بدور آخر غير الدور اللغوي في العمل الفني ، اذ تسيطر عليها قوانين جديدة ، قوانين جمالية فنية ، بالاضافة الى شكلها اللغوي المحض . وهذه العلاقة ليست علاقة سهلة . ومن السخف مقارنتها بعلاقة الضباط وافراد الجيش : للصورة ان تأمر وللكلمة ان تطيع .

الصورة لا تنتقي كلمات حسب ، انما تنتقيها على حسب القوانين اللغوية وفي اطارها . وفكرة الكاتب الخيالية لا يمكن ان تتجاوز سياج (المفردات) اذ انها لا تستطيع العمل دون كلمات ولا يمكنها تجاوز القوانين التاريخية التي تكوّن مظهر اللغة ، وتطورها في مختلف مراحل حياتها ...

ومع ذلك فالكاتب يوسع حدود اللغة ويطور مفرداتها ونحوها . ولكنه يفعل ذلك على وفق القواعد التي تعمل عملها في اللغة في مراحل معينة من تطورها . وخياله متقمص دائما في النطاق التاريخي والوطني للغة بما فيه من خصائص . انه محدود بأفق معرفته للغة وبقدر المفردات التي بحوزته . وكلما كان الكاتب قليل الحظ من الكلمات كان اقل نصيبا من الخيال الخصب .

ثم دعنا نعود الى المقارنة التي اجريناها ، بين الصورة والتيار وبين الكلمة والسلك . قد تكون هذه المقارنة ميكانيكية ومن جانب واحد ، ولكنها ترسم لنا صورة مهمة عن العلاقة بين الصورة (الفنية) والكلمة . فالسلك الموصل يمثل القناة التي يجري فيها تيار الفكرة الخيالية ، وهو ينظم تيار الصور حاجزا بينه وبين الفيضان الى جهات اخرى . يستتبع من ذلك اذن ، ان قوة الصورة لا تعتمد فقط على قيمتها الداخلية بل على الشكل المادي الذي يتكون منه « السلك » ايضا . وبعد ، نحن نعرف ان بعض المواد تكون موصلات جيدة ، في حين يقاوم غيرها سير التيار (الكهربائي) فتضعف قوته ، ومن اجل ذلك فلكي نرفع من شأن الصورة ، علينا الا نقلل من شأن الكلمة تقليلا ينتهي بها الى العدم .

ثم انني اعيد فاقول : ان العلاقة بين الصورة والكلمة علاقة معقدة ، فقد تكون الاولى آمرة ناهية وتكون الثانية تابعة مأمورة ، ثم يتبادلان الادوار . ومع ذلك ، فللصورة الدور المهم الحاسم في اغلب الاحيان .

ماذا يحدث في ذهن الفنان حين يبدع ، وفي ذهن القارىء حين يتجاوب مع العمل الفني ؟ وكيف تسبك الصورة ، التي يشعر بها بغير معونة الكلمات ، في شكل لفظي ؟ الى اي مدى تتماثل الصور الذهنية مع المفاهيم الذهنية والى حد تختلف ؟ ما هي ميكانيكية الفكرة الخيالية ، وما هو كيانها ؟

يجري في الوقت الراهن تقدم هائل في مختلف فروع العلم . اما مشكلة الفكر الفني فهي ستتطور اكثر من غيرها من المشكلات ، وهذا ما تشير اليه كل العلائم . ان الصورة هي خادمة العديد من الاسياد ، وهي تقع في مفرق الطرق بين علم المعرفة والاسطيقا (الجماليات) ونظرية الادب والسايكولوجيا (علم النفس) وفسجلة الذهن وعلم اللغة . ثم ان العلوم في تطور مستمر سريع ، ولذا فان مشكلة الصورة هي اكثر المشاكل دينامية (حركة) واقربها للنمو السريع . ولا يفهم كيانها وطبيعتها الا بعد توحيد شواهد مختلف فروع العلوم . وكل من هذه الفروع يفتح لنا افقا جديدا من آفاق الفكرة الخيالية ، وكل منها يرى في الصورة ميزات غير مدركة لدى الفروع الاخرى . وهذا هو السبب المهم الذي يقتضينا ان نعرض للصورة من جميع الجهات ومن مواقف مختلف فروع العلم ...

والصورة ، التي هي خلية الفكرة الفنية ، مظهر خاص من مظاهر انعكاس الحياة وادراكها ، ولا يمكن فهم اهم ميزاتها الا من طريق علم المعرفة والسايكولوجيا . وعلم المعرفة الذي لم يزل بعيدا عن التطور ، ذو فجوة في (نظام) عناصره (الدورية) . يعد الفلاسفة اربعة عناصر ، او اربعة مظاهر من مظاهر انعكاس الحياة هي : الاحساس والشعور والتصور والادراك (٢) (الفهم) .

اما الاحساس والشعور فيعكسان سطح هذا الشيء او ذاك ، على ان تكون الصلة مباشرة بين الانسان والموضوع . وهذا الانعكاس ليس كليا بل جزئيا وهو يستوعب قسما من ميزات الموضوع ، مع عجزه عن سبر اغوار محتواه .

اما التصور فهو يعكس موضوعه بشيء من الاستيعاب الكلي مع قدر معين من التعميم . وهو يكشف في كيانه ليس ميزات موضوع واحد بل ميزات عامة لعدد من الموضوعات المشابهة . وفي عكس مظهر لموضوع معين يستطيع التصور التعبير عن جزء من جوهره ، عن محتواه . ولكنه مبدئيا لا يستطيع التغلغل الى جوهر الظاهرة ، على الضد من المفهوم الذي هو طفرة الى الاعماق وانتقال من المرتبة الحسية الى المرتبة المجردة في التفكير.

اما المفهوم الواحد فهو يلتقط جوهر عدة موضوعات مختلفة وينتقي ميزاتها الرئيسة وينبذ (الباقي) وبـ (الباقي) نعني الصفات الفريدة الخاصة بموضوع معين . وكلما تعمق المفهوم فقد الشمول والصفة الموحدة للانعكاس ، وتحول الى شيء جزئي متفوق ، الى ضرب من ضروب المعرفة .

وطبيعي ان يكون من السخف تصور الفكرة الادراكية وهي تعمل مع (الجوهر) مع (التعميمات) تاركة الشكل الفردي للموضوع وخصائصه المعينة . اذ ما نتكلم عليه لا يتعدى المفهوم الفرد ، على اعتباره خلية كيانية من خلايا الفكر المجرد . ومما ينبغي الاعتراف به ان الفكرة المدركة تحذف من موضوعها الميزة الرئيسة . اما المفاهيم البسيطة فقد توصل الينا المظهر الفردي للموضوع وقد تعكس كل ميزاته ومظاهره ، وبهذا تدركه ادراكا كليا . وفي هذه الحال تشطر الفكرة المدركة موضوعها الى اقسامه المكونة له وتستوعبها قسما قسما . وهنا تنبعث عملية التركيب والتوحيد كنتيجة من نتائج الانشطار ...

لقد عرف من مدة طويلة ان الصورة على خلاف (المفهوم) لا تشطر موضوعها بل تهضمه كلا غير متجزىء. فهل يعني ذلك ان الصورة يمكن ان توضع على مستوى التصور ؟ ومهما يكن من امر ، فالصورة تهضم العالم ككل بغير شطر الموضوع ، العمل الذي يقع في نطاق البصيرة . وقد وضع النظريون الادبيون ، اعني الاغلبية منهم الصورة في مستوى التصور ، ومع ذلك فالقضية في اخذ ورد ولم تنته الى نهاية حاسمة . حتى ذهب بعض النظريين الى وضع الصورة في مستوى (المفهوم) مضيفين الى ذلك انها تختلف عن المفهوم في شكلها وفي (كسائها) الحسي .

ان الصورة هي شكل تركيبي للانعكاس من جهتين : فاولا هي تهضم الحياة هضما تاما بما فيها من ظاهرتي الشكل والمحتوى وكافة الميزات الفردية والرئيسة ، وثانيا توحد في نفسها مرحلتي الادراك الحسي والعقلي ، اي الادراك المباشر والادراك التعميمي (٣) . وشأن الصورة شأن التصور في ادراكها للمظهر الخارجي الكامل للموضوع، وهي كالمفهوم في استيعابها لجوهر الموضوع . وعلى الضد من التصور فهي تدرك ذلك الجوهر بتمامه لا بصورة غامضة ولا اعتباطا . وعلى الضد من (المفهوم) فهي لا تقسم الموضوع الى اقسام . طبيعي ان ما قلناه لا يعدو مخططا ولكنه يرينا خصائص الصورة واختلافاتها عن اشكال المعرفة الاخرى .

كانت انا كارنينا مسافرة في القطار ، بعد التقائها بفرونسكي ، وكانت تطالع كتابا . وفجاة شعرت شعورا غريبا بالمرار فقالت : (وماذا ؟) محدثة نفسها بعزيمة مغيرة موضعها على المقعد . (ماذا يعني ذلك انا خائفة ان انظر الى ذلك الشيء ؟ ماذا ؟ هل يمكن ان توجد بيني وبين هذا الضابط الشاب علاقات تختلف عن تلك التي بيني وبين اي من المعارف والاصدقاء ، ابتسمت بترفع واخذت كتابها مرة ثانية بيد انها لم تستطع ان تفهم ما تقرأ . ثم مررت سكينة الورق بين الواح الشباك، وبعدها ضغطت بصفحتها الناعمة على خدها وهي تكاد تضحك ، وفجاة غمرها سرور طافح لا سبب له . وشعرت بأن اعصابها كانت تتمدد كالاوتار التي تشد شدا عنيفا حول الاوتاد . واحست بعيونها تتسع اتساعا واصابعها تتحرك بعصبية ، كما احست بشيء في دخيلتها يوقف تنفسها ، عدا عن الاشكال والاصوات المنبعثة من الظلام المهيمن ، التي اخذت بخناقها . »

فهل في استطاعة التصور او الادراك عرض هذه الحالة العميقة ، هذا الهياج العاطفي غير الواضح حتى بالقياس على صاحبه ، هذه الصورة الاولى لدوافع الغرام الناشىء ؟ تتعاقب امامنا سلسلة من الصور الفجائية تنبىء عن عمليات روحية عميقة ، وما الذي نراه لا يعدو وعيا شاملا لعالم يخص انسانا معينا . وهذه الصور لا تحذف الشكل من هذه العمليات ولا تنبذ المظاهر الفردية اللصيقة بالانسان .

وبعد ، ماذا يعني هذا بالقياس على هضم الجوهر ؟ اين هو جوهر الفرد وحياته الروحية ؟ على اي حال ، ان الصورة التي رسمها تولستوي لا تشير الى امزجة طافحة الى نهيرات من الاحساس . وقد لا تكون هذه صورا بل اشكالا اخرى من علم (المعرفة) .

وفي المحطة التقت انا بزوجها ، « يا للسماء ماذا حدث لاذنيه ؟ فكرت متاملة في شخصيته المسيطرة الجافة وخاصة في اذنيه الشنيعتين اللتين اثارتاها وهما يصلان الى حافة قبعته . »

---

(٢) هذا لا يعني ان الفلاسفة ينبذون الصورة الفنية . انهم يعترفون بها ولكن ليس على اساس شكل من اشكال (المعرفة) الرئيسة . وهم يفهمون الصورة غالبا على انها مظهر من مظاهر انعكاس الحياة ، الانعكاس المتألف من عناصر اخرى كالتصور احيانا او الادراك احيانا اخرى . وتعبير الصورة - في الفلسفة - له معناه الخاص . فهو غالبا ما يستخدم للدلالة على الانعكاس الحسي للحياة ، سواء اكان ذلك الانعكاس احساسا او ادراكا او تصورا .

(٣) الادراك الحسي هو الاحساس الفوري بالظاهرة مع تفسير بسيط لها على الضد من الادراك التعميمي الذي يفسر الظاهرة تفسيرا عقليا شاملا . المترجم

ان تيارات الحب الاولى ، التيارات التي لم تنفجر بعد من تحت الشعور بدات تعمل عملها التأثيري في كيان حياتها العاطفية واخذت تغير نظرتها للحياة تدريجا . لعل تولستوي بصوره هذه يعرض لخصيصة عميقة من خصائص انّا وفي الوقت نفسه لبعض العناصر (المهمة) في السايكولوجيا الانسانية .

وباستمرارنا بالقراءة يتبرز لنا موقف تولستوي بما كتبه عن التبدل الفجائي الذي اصاب حياة انّا العاطفية . اما الشرارات الملتهبة التي مست مشاعرها فقد غيرت عالمها الروحي . واول ما يتغير حالها يتوجه التغيير نحو الشعب ، نحو الناس الذين هم اقرب ما يكونون اليها ، وكل ما ملأ حياتها . و « اما ابنها ، الذي يشبه اباه ، فقد طبع فيها انطباعا يقارب الخيبة . »

وذات مرة زارت انّا صديقة لها تهتم بالمنظمات الخيرية فحدثتها بغضب عنها . ان صديقتها لم تتغير . فلماذا لم تلحظ ذلك فيها قبل ذلك ؟ الم تكن وضعيتها مضحكة حقيقة . انها تعلن عن اهداف خيرية لانها مسيحية ، ومع هذا ، فهي تغضب من كل شخص تراه ، وتحسب كل من تراه عدوا لها . ان انّا لا تستطيع ان تفهم لماذا ترى اقرب اصدقائها وصديقاتها ، اقرب الناس اليها في ضوء جديد . انها لا تفهم ان نظرتها العامة للحياة اخذت تتبدل من الاساس . وبدورانها في دائرة من العادات نست الانطباع الذي احدثه فيها فرونسكي . انها لم تعد تفكر فيه ، ولم تعد تشعر بآثار لقائها به . ولم تلحظ دخول شيء جديد في حياتها . والمسالة الوحيدة التي تثيرها وتزعجها هي الظاهرة الجديدة الباهتة في علاقاتها مع زوجها . قالت انّا لنفسها بعد عودتها الى غرفتها « على كل حال ، انه رجل طيب صادق رحيم يشار اليه بالبنان في اطاره الخاص » كأنها تدافع عنه ضد من اتهمه واعلن انه غير اهل للحب ثم تردف قائلة « ولكن لماذا تقف آذانه هكذا ؟ قد يكون خلق راسه » . انها لا تدرك القضية ، فهي تحسب ان كارينين قد تغير ، غير مدركة بانها هي التي تغيرت ولهذا السبب بالذات يبدو الاخرون مختلفين عما عهدتهم في الماضي .

يظهر ان شرارات الحب الاولى انطفأت قبل وصولها الى ذهنها المفكر من اعماق مشاعرها . انها لم تترك اثرا في وعي انّا ولذا لم تعلق اهمية عليها . اما وهجها وحرارتها فيظلان في احاسيسها يغيرانها بطريقة مرعبة ويشحذانها ويسبغان عليها حيوية جديدة .

وهنا يوصل تولستوي بين حركات الروح الانسانية والتأثير الذي تحدثه الجداول المنصبة في تيار الحياة الانسانية . وعلى ذلك يدرك الفكر الخيالي منطق الروح البشرية ويستوعب جوهر العمليات النفسانية في تكوينها « الميكانيكي » . . ان تولستوي لا يصف الحب بصورة عامة ، الحب المجرد ، بل حب انّا ومن طريق انّا يصف نموذجا انسانيا . وقوة التركيب هذه ، في شمولها وعموميتها ، لا توجد الا في الصورة الفنية . ومن هنا فليس التصور ولا الادراك بقادر على الاتيان بما تأتي به الصورة ، اي ايصال النموذج الانساني بكليته ، نموذج طبيعة حركات الزوج في حياتها الفريدة .

ان الصورة تستطيع مبادلة المظاهر الخارجية بالداخلية وعلى الضد من ذلك . وهذه خصيصة اساسية من خصائص الفكرة الخيالية ، الخصيصة التي تقوم بدور مهم جدا في الفن ولا سيما الفن المعاصر . وليس في الادب صورة واحدة لا تقوم بنقل الجزء من خلال الكل ونقل الكل من خلال الجزء . ان الصورة تكوّن موضوعها بصورة تركيبية وتتغلغل الى اعماق الاشياء بغير ان تشطرها الى اقسام . وهذا ما يعوز كلا من التصور والادراك ، لانهما بحاجة الى الطريقة التركيبية ، ولانه من المستحيل عكس محتوى موضوع وكيانه وجوهره ومظهره الفردي بعملية ذهنية واحدة . وهذا هو السبب الذي يجعلنا ندرك شخوص تولستوي على انها نماذج لاناس احياء بميزاتهم الاساسية والرئيسة ، وفي الوقت نفسه ترى في شخصياتهم الفردية طابع المجتمع الذي كونها . .

ومما لا شك فيه ان الفكر الخيالي الذي نحن بصدده يختلف باختلاف مراحل التأريخ . فمنابع النهر والجداول التي تكوّنه شيء والتيار الفائض الجاري شيء اخر . نحن نعرف ان الانسانية بتطورها في الزمن ، جعلت الفكر يتطور اكثر فأكثر . واصبح الفكر الذي كان يسيطر على الذهن البشري منذ مئات السنين ، في انحسار وتراجع، ومع ذلك فهو يقوم بدور مهم في تفكير الانسان المعاصر . فكيف يؤثر هذا كله في الادب ؟ وكيف تنعكس هذه الفعاليات على الادب ؟

غالبا ما نشير الى منطق الروح الذي يلجأ اليه ليو تولستوي . ومع ذلك نحن لا نملك سوى مفهوم باهت لذلك المبدا الذي تغلغل في نتاجه او الطريقة التي بواسطتها اثر في فكره الخيالي من حيث جوهره والصفات الفريدة المميزة له . وفي هذا الامر تكمن اسرار عبقرية تولستوي . ان تفكيره ، في تفوقه الكبير على تفكير غيره من الكتاب ، كان على وفاق مع موجة الطفرات النوعية ، التغيرات النوعية في الحياة . . . ومن هنا فان مؤلفاته ملأى بنقاط التحول والتبدلات السريعة في الروح الانسانية ، في العلاقات بين الناس في المجتمع . . .

ان فكر تولستوي يعرض التناقضات الحية والتبدلات النوعية ومنطق التطور الخلاق وفي هذه الامور تبدو صفات عبقرية تولستوي الفريدة وادراكه للعالم . وانجازات تولستوي هذه مهمة لا لجلاء طبيعة فكره الخيالي بل لانها جزء من عملية التبدل العظمى التي تجري الان بالقياس على الانسان المعاصر .

وبعد ، ماذا عن الدراسات اللغوية ؟ هل يجب نسيانها

منتهى الحب

لي طيوفك ، لا سحر ، ولا الق   صبح الانوثة عفى ضوءه الغسق
قداسة الحب ، قد ديست طهارتها   براءة الوصل ، قد اودى بها النزق
كأن نيسان لم يخطر بروضتنا   مفاتنا ، لم يعطر افقنا العبق
بالامس كنا ببال الصحو اغنية   واليوم ، لحن على القيثار يختنق
ونحن شعلة اشواق قد انطفات   لا حس فينا ، ولا في روحنا رمق

وهيكل تنهش الاحزان اضلعه   ويسرق الصمت من اجفانه الارق
قلب يعيش لدى الاطلال يسالها   ويومه اليأس ، والحرمان ، والقلق
او ما لنا الحب : جنات الفتون هنا   لمن احبوا ، وما خانوا ، ولا افترقوا
هتفت هيا : وذي روحي اقدمها   ضحية، فاخطري، فاجتاحك الغرق
ناداك في النار زيف في بهارجه   تبعته ، وتصبت وحشتي الطرق

اترجعين الي اليوم نادمة   وتعرضين غراما روحه مزق ؟
لا، لا تعودي، فأمسي مات، وانطفات   روحي ، وامواج ليل اليأس تصطفق
والقلب في رقدة الموتى ، فلا نبض   فيه ، ولا ذكريات الحب تأتلق
نحن الذين على المأساة قد فتحت   اجفاننا ، وضنى وجداننا الرهق
تألق الوحي في احداقنا صورا   من الخلود ، ووشى ظلها الشفق
ايماننا بخلود الروح يسألنا   اسمى الفداء ، وللقربان نستبق
نعطي الوجود حياة الخصب من دمنا   تنمو الغراس ، ومنا نور الفلق
واقدس الفن ما نعطيه اضلعنا   ومنتهى الحب انا فيه نحترق

حمص   **شكري هلال**

وطرحها جانبا ، مستعيضين عنها بدراسة الصور الفنية ؟ طبعا ان هذا غير صحيح . اذ الشيء المهم للظاهرة اللغوية ان تجد لها مكانها المناسب . كما يجب ان تفهم على انها حلقة في اسلوب الكاتب ... وكل ما في البلاغة من تشبيه وكناية واستعارة ومجاز الخ ما هي الا عناصر من الفكرة الخيالية ، عناصر ذوات اهمية يسيرة . وهو تشمل مظاهر الاسلوب الادبي التي تكون شخصية الكاتب الخاصة ولذا من الضروري ان ندرسها مع غيرها من مميزات الاسلوب ... نعرف مثلا ان ماياكوفسكي – في باكورة نتاجه – كان يحب استعمال التشبيهات ، وكان غوغول يفضل الاستعارات . ومع ذلك فيجب ان نعرف الصفات الخاصة بتشبيهات ماياكوفسكي ، وكذلك الحال مع استعارات غوغول . ان علينا ان نجد الحلقة الموصلة بين صورهما ولغتهما وبغية القيام بذلك لا بد من استيعاب المميزات الفردية اللصيقة بأفكارهما الخيالية . وعلى ضوء موقفنا هذا تتجلى لنا الحلقات التي تربط لغة الكاتب بفكره الخيالي ونظرته للعالم وذوقه الجمالي وتجربته وارائه ومركزه . ومن هنا تتوضح الميزات الفردية لاسلوب الكاتب واستنادها الى عالم (موضوعاته) التي تختلف من كاتب الى اخر ... ونحن نرى هذه الخصيصة ليس فقط حين ندرس كتاب عهود مختلفة بل ان اخيلة الكتاب المعاصرين انفسهم تختار طبقات مختلفة من الظواهر . ولذلك ما على احدنا الا ان يقارن بين بلزاك وستندال وبين دكنز وثاكيري وبين شولوخوف وفادايف وبين همنغوي وروجر مارتن دوغار . وبعد ، الهذا كله علاقة بأسلوب الكاتب ؟ اجل وعلاقة مباشرة ، ذلك بأن اسلوب الكاتب هو تجسيد لفكره الخيالي في كلمات ، بما لهذا الفكر من خصائص ومميزات ، ومن هنا نجد الرابطة بين الصورة والكلمة .

اربيل – العراق   **يوسف عبد المسيح ثروة**

الحب والجمال في شعر الشابي

بقلم محمد العيساوي الجمني

* * *



في سنة ١٩٠٩ ولد الشاعر العربي ابو القاسم الشابي في بيئة تنتسب الى الدين بحكم الوظيفة ، حيث كان والده قاضيا شرعيا . انتقل الى عدة جهات في الاراضي التونسية . وكان مولد الشاعر بنواحي مدينة « توزر » حيث النخيل ، والمياه والاشجار ، والرمال ، والجمال في الجنوب التونسي . وانتقل مع والده الى مدن : « قابس ، وتاله ، وسليانه ، ومجاز الباب، وراس الجبل، وزغوان» . اذن فالشابي جاب البلاد التونسية شمالا وجنوبا ، وشرقا وغربا ، فشاهد جمال الواحات في الجنوب ، ومزارع القمح والشعير ، والحبوب في الشمال . كما شاهد الزياتين ، ومنابت الكروم واللوز ، والبرتقال ، التي تمثل اكثرية ارض تونس . ورأى النخل الباسقات ، ذات الطلع النضيد . وتملت عيناه جمال تونس الخضراء ، وتنشق من اريجها الفواح المعطار . واتجه الشاعر نحو التعليم الديني حسب بيئته ومحيطه . فانخرط بعد اتقانه القرآن في سلك التعليم الزيتوني . وبعد المرحلة النهائية درس الحقوق بتونس . هذه هي خطوط ثقافته العامة ، وكان لا يتقن اي لغة سوى العربية بتاتا . خلافا لما يظن في الشرق العربي وقد كان الشابي متفتحا للمعرفة ، متلهفا لنمطالعة والتحصيل . فارتوى من ينبوع الادب المهجري الفوار . حيث قرأ لأيمته ورؤوسه . وظهر هذا في الطابع التجديدي في شعره . وتأثر بجبران خليل جبران تأثيرا واضحا بينا ..

واول حب للشابي نعثر عليه في ديوانه «أغاني الحياة» هو حبه « لتونس » حيث يقول في قصيدة : « تونس الجميلة » :

أنا يا تونس الجميلة في لج ، الهوى قد سبحت أي سباحه
شرعتي حبك العميق واني ، قد تذوقت مره وقراحه
لست انصاع للواحي ولو مت وقامت على شبابي المناحه ..
لا ابالي ... وان اريقت دمائي ، فدماء العشاق دوما مباحه
وبطول المدى تريك الليالي ، صادق الحب والولا وسجاحه

والشابي له من الشعور ، والاحاسيس ، والالام والامال ما اتعبه ونغص عليه حياته واشقاه . فقضى حياته متألما، متوجعا ، شاكيا ، باكيا ، محتجا ، ومتحديا .. والحب عند الشابي او في شعره له جانب كبير . وهذه الناحية ـ ناحية الحب ـ اختلف فيها النقاد والدارسون لشعره ..

هل أحب الشابي حبا حسيا واقعيا ؟؟ أم هو مجرد خيال وتصوير واوهام واحلام ؟ المهم عندي ان الشابي اجاد في تعبيره عن الحب ، وتصويره له ، وحديثه عنه . وكثيرا ما تكلم عن الحب ، وناجاه مناجاة الصديق والحبيب . فلنسمعه يفسر الحب في صور بديعة اخاذة . وهو تعريف جديد للحب اتى به الشابي :

الحب شعلة نور ساحر هبطت من السماء ، فكانت ساطع الفلق
الحب روح الهي مجنحة أيامه بضياء الفجر والشفق
لولاه ما سمعت في الكون أغنية ولا تآلف في الدنيا بنو افق
الحب جدول خمر ، من تذوقه خاض الجحيم،ولم يشفق من الحرق

هذا هو تعريف الحب عند الشابي . وهذا التصوير الرائع ، وهذه الايات البديعة وهذه التفاصيل الدقيقة لا تصدر الا من انسان محب مجرب ، ذكي ، خاض بحر الحب ، وتعرض لموجاته العاتية ، وجاس زواياه ومخابئه.. ونراه بعد ان صور الحب وعرفه في الابيات الماضية يحول الكلام من صيغة الماضي الى صيغة الخطاب فيقول في قصيدة : « أيها الحب » :

أيها الحب ! انت سر بلائي وهمومي ، وروعتي ، وعنائي
ونحولي ، وادمعي ، وعذابي ، وسقامي ، ولوعتي ، وشقائي
أيها الحب ! انت سر وجودي وحياتي ، وعزتي ، وابائي
وشعاعي ما بين ديجور دهري واليفي ، وقرتي ، ورجائي
أيها الحب قد جرعت بك الحزن كؤوسا ، وما اقتنصت ابتغائي
فبحق الجمال ، يا أيها الحب حنانيك بي ! وهون بلائي
ليت شعري ! يا أيها الحب قل لي : من ظلام خلقت أم من ضياء

اظهر الشابي ايمانا قويا ، وعميقا بالحب . وجعله محور الحياة ، ومركز دائرتها . ويحب الشاعر ، ويسعد بحبه ، وينتقل كالعصفور بين الحدائق والازاهير . يشدو بالاغاني الحلوة العذبة . ويقطف من عنقود السعادة أفانين . ويردد من الانغام احلاها واطربها . ولكن الدهر لا يتركه في هذه السعادة . بل ينتزعه انتزاعا ، ويستله كما يستل الموت الانسان من بين افراد عائلته . ولنستمع للشاعر يصور ماضيه السعيد في قصيدة « الذكرى » اذ يقول :

كنا كزوجي طائر ، في دوحة الحب الامين
نتلو اناشيد المنى بين الخمائل والغصون
متفردين مع البلابل في السهول وفي الحزون
ملأ الهوى كاس الحياة لنا ، وشعشعها الفتون
حتى اذا كدنا نرشف خمرها ، غضب المنون
فتخطف الكاس الخلوب ، وحطم الجام الثمين

وللجمال في شعر الشابي نصيب غير منقوص . فهو عنده كالحب يشغل كثيرا من حياته ودنياه . ويملك عليه شعوره وحسه . فيصبه على الورق شعرا جميلا . ففي قصيدة « الجمال المنشود » يقول الشابي :

يا عذارى الجمال، والحب، والاحلام بل يا بهاء هذا الوجود
قد رأينا الشعور منسد لات كللت حسنها صباح الورود
ورأينا الجفون تبسم .. او تحلم بالنور ، بالهوى ، بالنشيد
ورأينا الخدود ، ضرجها السحر فآها من سحر تلك الخدود
ورأينا الشفاه بسم عن دنيا من الورد ، غضة أملود

ورأينا النهود تهتز ، كالازهار في نشوة الشباب السعيد
فتنة ، توقظ الغرام ، وتذكيه ولكن ماذا وراء النهود ؟

ولكن هذا الجمال الذي شغل الشابي ، هذا الجمال الحي المحسوس الذي صوره وصبه في قالب شعري ساحر . هذا كله لم ينس الشاعر في ان يتساءل في لهفة وشوق : هل يملك هذا الجمال روحا طيبة، ونفسا طاهرة، وقلبا خاليا من الحقد والكراهية والبغضاء ؟

هل في هذا الجمال نفوس جميلة ، وقلوب طاهرة مضيئة ؟ ام يحتوي على نفوس مظلمة لم تبصر النور ، وهي غارقة في الاثم والمنكر والضلال . وهنا نجد السم في الدسم . فيقول متسائلا ، حيرانا متلهفا :

ما الذي خلف سحرها الحالم السكران في ذلك القرار البعيد ؟
انفوس جميلة ، كطيور الغاب تشدو بساحر التغريد
طاهرات ، كانها ارج الازهار في مولد الربيع الجديد
وقلوب مضيئة ، كنجوم الليل ضواعة ، كغض الورود
أم ظلام ، كانه قطع الليل وهول يشيب قلب الوليد
وخضم ، يموج بالاثم والنكر والشر ، والظلال المديد
لست ادري ، فرب زهر شذي قاتل رغم حسنه المشهود

ان الشاعر يهفو الى عالم طاهر ، نظيف . عالم روحي ، بعيد عن الاثم والضلال . ولهذا يود الشاعر ان يحيا بفكرة الشاعر ، حياة الخيال والرؤى والاحلام . لان الواقع الذي شاهده الشاعر وعاشه مملوء بالغش والخداع والاباطيل . فيقول في قصيدة « قيود الاحلام » ما يلي :

وأود ان احيا بفكرة شاعر فارى الوجود يضيق عن احلامي
الا اذا قطعت أسبابي مع الدنيا وعشت لوحدتي وظلامي
في الغاب في الجبل البعيد عن الورى حيث الطبيعة ، والجمال السامي
واعيش عيشة زاهد متنسك ما ان تدنسه الحياة بذام
هجر الجماعة للجبال ، تورعا عنها ، وعن بطش الحياة الدامي
تمشي حواليه الحياة كانها الحلم الجميل ، خفيفة الاقدام
وتخر أمواج الزمان بهيبة قدسية ، في يمها المترامي
فاعيش في غابي حياة كلها للفن للاحلام ، للالهام

فالشابي اعطى للحب والفن والجمال في شعره اهمية كبرى ، وصور هذه النواحي ، ووضعها في اطار جميل ، بديع . والشابي ولع شديد بمخاطبة الحبيبة ، والتساؤل والاستفهام . ففي قصيدة « صلوات في هيكل الحب » يقول مخاطبا حبيبته قائلا :

عذبة أنت كالطفولة ، كالاحلام كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد ، كابتسام الوليد

الى ان يقول :

أنت.. ما أنت؟ أنت رسم جميل عبقري من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود
أنت . ما أنت؟ أنت فجر من السحر تجلى لقلبي المعبود
أنت روح الربيع ، تختال في الدنيا فتهتز رائعات الورود
أنت انشودة الاناشيد ، غناك اله الغناء ، رب القصيد

وبعد ان يصف الحبيبة وصفا حسيا ملموسا يقول :

كل شيء موقع فيك ، حتى لفتة الجيد واهتزاز النهود
أنت فوق الخيال ، والشعر ، والفن وفوق النهى وفوق الحدود
أنت قدسي ، ومعبدي ، وصباحي وربيعي ، ونشوتي ، وخلودي
يا ابنة النور ، انني أنا وحدي من رأى فيك روعة المعبود

وينتقل الشاعر الى وصف عيشته معها — والصورة خيالية طبعا — فيقول :

عيشة للجمال ، والفن والالهام والطهر ، والسنى ، والسجود
عيشة الناسك البتول يناجي الرب في نشوة الذهول الشديد
فالاله العظيم لا يرجم العبد اذا كان في جلال السجود

والشاعر عند رؤية حبيبته تحلو له الحياة من جديد ، وتتفتح امامه الامال ، ويرى طريق المستقبل مفتوحا ممهدا . فيصور شعوره واحساسه ، ودنياه الجديدة ، وآماله الخضراء الزاهرة ، فيقول في قصيدة « اراك » مصورا شعوره واحساسه عند رؤية الحبيبة :

اراك فتحلو لدي الحياة ويملأ نفسي صباح الامل
وتنمو بصدري ورود عذاب وتحنو على قلبي المشتعل
ويفتنني فيك فيض الحياة وذاك الشباب ، الوديع الثمل
فاعبد فيك جمال السماء ورقة ورد الربيع الخضل

والشابي ذواق للجمال ، حساس به ، تنفعل به نفسه وتهفو له روحه ، وهو انسان ذكي شاعر ، يتمتع بدائرة واسعة ، تصلح للتعدد والتفصيل ، وله المام بأسماء الاشجار ، والحشائش ، والنباتات ، والزهور . فنراه في قصيدة « ذكرى صباح » يذكر تفاصيل واسعة عما سجلته عدسته الذهنية والبصرية في هذا الصباح فهو يقول في « الصباح » وتصويره :

قدس الله ذكره من صباح ساحر ، في ظلال غاب جميل
كان فيه النسيم ، يرقص سكرانا على الورد ، والنبات البليل
وضباب الجبال ، ينساب في رفق بديع ، على مروج السهول
واغاني الرعاة ، تخفق في الاغوار والسهل ، والربى والتلول
ورحاب الفضاء تعبق بالالحان والعطر ، والضياء الجميل
والملاك الجميل ما بين ريحان وعشب ، وسنديان ، ظليل

وصورة الراعي في البادية مع غنمه ، وهو ينتقل بها في السهول الخضراء والوديان الجارية . وغنمه ترعى الحشائش والاعشاب وتمضغ الفكر والاخيلة وترعى الكلأ الذي ارضعته الشمس وغذاه القمر . والراعي يسكرها بانغامه الساحرة ، المنبعثة من شبابته . هذا المنظر مألوف لسكان البوادي الرحل . وقد يكون هذا الباب مطروقا من الشعراء ، خصوصا الجاهليين . ولكن الشابي صوره في صورة جميلة خلابة . واعطاها من اصباغه والوانه ما جعلها زاهية ساحرة . ولناخذ مقاطع من «اغاني الرعاة» :

اقبل الصبح يغني للحياة الناعسة
والربى تحلم في ظل الغصون المائسة
والصبا ترقص اوراق الزهور اليابسة
وتهادى النور في تلك الفجاج الدامسة

اقبل الصبح جميلا ، يملأ الافق بهاه
فتمطى الزهر ، والطير ، وامواج الحياه
قد أفاق العالم الحي ، وغنى للحياه

الـدرب القـديـم

وتهب اشواقي على الدرب القديم
كالريح تصفعني ، كزوبعة الجحيم
قلبي على الدرب القديم ،
وذكرياتي والدموع
والشوك والازهار اغنية
تنفسها الربيع
ما مات رجع لحونها
الا لتبعث من جديد
حلما يتوج عاشقين
وسحابة عذراء تلثم خافقين
خلف الجدار هناك يا حلمي
افقت على ندائي
من الف فجر فاض في عينيك
ينبوع الضياء
واليوم !
عاد الدرب يلفظني
ويسخر من شقائي
ورجعت !
نجم آفل الاضواء
يخفق في سمائي
لنعود نغرق في حطام الامس ،
يا نجمي الحزين
واعود في عينيك
ماض فات موسمه الفتون

لا شيء عندي
دارت الايام وانطفا الحنين
وانا !
اود لو التقينا لو رجعنا من جديد
لكنني ابدا وحيد
ولسوف امضي اعبر الدنيا حقولا
او معابر من جليد
والم عن هذي الدروب صدى خطاي
فالامس ذكرى في حنايا القلب
ترهبها يداي
والزهر والاشواك غمغمة الربيع
والحب والدرب القديم ،
وذكرياتي او دموعي
ستظل تتبعني ، وتتبعني وتحلم بالرجوع
لكنني ابدا وحيد
اريد ان ابقى وحيد
ولسوف اعبر هذه الدنيا صخورا
او مباسم من ورود
عامان مرا
امضغ الاشواق في سأم
واختزن الوعود : غدا نعود :
وعد فوعد فرأ ماضينا
واين ترى نعود

بغداد **شهيد عبد الله الحديثي**

فافيقي يا خرافي ، واهرعي لي يا شياه

واتبعيني يا شياهي ، بين اسراب الطيور
واملأي الوادي ثغاء ، ومراحا وحبور
واسمعي همس السواقي ، وانشقي عطر الزهور
وانظري الوادي ، يغشيه الضباب المستنير

هذه ثلاثة مقاطع من اغاني « الرعاة » التي فيها من الصور الجميلة الشيء الكثير ... وهذه نماذج من صور الحب ، والجمال في شعر الشابي انقلها للقراء بدون شرح او تعليق او تفلسف ... فحق الشعر ان يقرأ ، وان ينفعل به تلقائيا وبدون ايحاء او توجيه حسب الشعر احساس القارىء واهتزازه وفهمه .. وحسب الشعر ان يعرفه القارىء ويدرك مغزاه ، ومرماه ، واهدافه البعيدة..
ومات الشاعر بعد ان قضى من الحياة خمسة وعشرين ربيعا فهو من ضحايا النبوغ الباكر حيث فارق الحياة في سنة ١٩٣٤ .

القاهرة **محمد العيساوي الجمني**



خليل مطران : أروع ما كتب

تاليف الدكتور محمد صبري — مطبعة دار الكتب بالقاهرة — (لم يذكر الاستاذ فلسطين عدد صفحات الكتاب)

الدكتور محمد صبري ، ابن السوربون البكر ، ظاهرة اجتماعية لها خطرها في تاريخ الادب وادب التاريخ . فهو من اكبر المؤرخين المعاصرين الذين يرجع الى اثارهم ، وهو من اكبر حفظة الادب ونقاده ومؤرخيه . وله في هذا وذاك ذوق يجل بجماله عن الوصف ، وكتبه الشوامخ في التاريخ والادب لا غنية عنها في بحث يتصل بالقديم والحديث .

وقد وصفنا الدكتور السوربوني بانه ظاهرة اجتماعية لانه ينقب دائما عن المطمور والمخفي من الاثار فلا يحتذي غيره من المؤرخين والادباء ، بل يستقل باتجاه مطرف ، ويتصدى للجليل من الامور ، ويقبل كل تحد في همة كهمة الشباب ودقة كدقة الصائغ وقوة احتمال لا تلين امام المصاعب الطاحنة العاتية .

وها هو استاذنا وصديقنا الدكتور محمد صبري يدفع الينا بثمرة من ثمرات الكد العلمي هي كتابه الجديد « خليل مطران : أروع ما كتب » فيجمع لنا فيه اشتاتا من اثار مطران النثرية المبثوثة في الصحف والدوريات الادبية ، ما ظهر منها بتوقيع صريح منه او بغير توقيع ليبرهن لنا على ان شاعرنا الكبير كان كذلك كاتبا كبيرا ، وان « الخلود الشعري » الذي دان لخليل مطران يقابله ويحاكيه « خلود نثري » كان مجهولا حتى كشف الدكتور صبري خافيته وازاح الستر عن محجوبه .

وكل ما يذكرني بخليل مطران ينفحني بنشوة عارمة . فقد واددته وصافيته في سنوات خمس انعقدت فيها بيننا ايات الاخوة الصادقة ، وتكشفت لي عن قرب عبقرياته الكثر : عبقريته الخلقية وعبقريته الادبية وعبقريته الفنية . والفضل في هذه المودة التي اعيش على ذكراها ابدا ، يعزى الى ربه وصاحبه اخي وصديقي البير اديب الذي حرضني على ارسال سطرين الى مطران فكان مطران سباقا الى نشدان مودتي ، متفضلا علي في اذكاء تلك المودة ، يمن علي بالتشجيع والتوجيه والمؤازرة حتى لقد وصفني في مطالع شبابي بانني « نابغة الصحافة والادب » وهو نعت اضفاه علي الخليل من الائه فلا استحققته يوما ولا ادعاء لي به اليوم .

ولقد حببتني شخصية مطران في ادبه فقرات له شعره في ديوانه ذي الاجزاء الاربعة ، وقرات ما ترجم من مسرحيات عن شكسبير وما ترجم في باب الاقتصاد مع حافظ ابرهيم ويوسف نحاس ، وقرات له كثيرا مما انبث في الصحف والمجلات ، واطلعت على « طائفياته » وهي مجموعة كبيرة من القصائد اوصى بابعادها من « ديوان الخليل » ونشرها على حدة لانه شارك بها في أوجه النشاط الديني والخيري ، ولعل هذا الديوان في عهدة ابناء اخيه او في ذمة لجنة تكريم الخليل . ولكن فاتني كثير مما كتبه مطران في أخريات القرن الماضي واوائل هذا القرن ، ولهذا فرحت كثيرا اذ رايت الدكتور محمد صبري دائبا في جمع مفردات مطران النثرية وتهيئتها للقارىء عند طرف بنانه . وهذا عمل عظيم من اعمال التحقيق والاحياء الادبي والتاريخي يهنا عليه استاذنا الدكتور صبري لانه اخرج لنا من سراديب القلعة ومحفوظاتها هذه الدرر الثمينة ، وجلاها لنا في ابدع صورة واروع بيان ، معلقا عليها تعليقات ذكية، شارحا اياها من الناحيتين التاريخية والادبية ، مصححا ما قد يكون فيها من تصحيف في الطبع ، معللا من الملابسات امورا لا تهتدي اليها البديهة الا بجهد . وقد كان الدكتور صبري في تحقيقه هذا سوربوني المنهج ، عربي الذوق ، شاعري الديباجة ، نافذ النظرة . هذا الى ان صبري مفتون بالاستطرادات والمقارنات ، فلا يكفيه التسجيل والاثبات ، بل يناقش اراء مطران واراء المعاصرين في مطران ، وهو مثلي متعصب لمطران يذود عنه بحماسة قد تخرجه عن الحلم .

ولا ريب في ان صديقنا صبري ليرحب بملاحظتين نبديهما استدراكا على هاته الطبعة من كتابه « خليل مطران : اروع ما كتب » ، آملين ان يتدبرهما في طبعات الكتاب التالية .

واولى الملاحظتين انه وقد وقع على مراجع ضاربة في القدم موغلة في الزمن تولاها شرود وضياع ، نسي مرجعا حديثا فيه شيء من اثار مطران النثرية ، هو كتاب « ذكريات السودان » للمرحوم الدكتور يوسف نحاس الذي قال فيه مطران اعترافا بفضله وتقديرا لبره :

قضى ما اسطاع «يوسف» عن أخيه ونعم العون «يوسف» والثمال

وهو كتاب توليت جمع مادته بتكليف من صديقي نحاس وكتبت مقدمته بتشريف منه وصدر في عام ١٩٥٥ فكان آخر مؤلفات الدكتور نحاس ، الاقتصادي العظيم .

ومما يذكر في هذا الصدد ان رسالة الدكتوراه الموسومة « الفلاح » التي نال بها المرحوم الدكتور يوسف نحاس درجته الجامعية من مدرسة الحقوق العليا في باريس سنة ١٩٠١ قد ترجمها الى اللغة العربية المرحوم خليل مطران سنة ١٩٢٦ وكتب لها مقدمة نثرية بليغة كانت تستحق الاثبات في كتاب الدكتور صبري .

وثانية الملاحظتين ان الدكتور صبري استنسخ ملخص محاضرة عن « اللغة العربية وذخائرها الادبية قديما وحديثا » من مجلة « المقتطف » سنة ١٩٣٠ ، مع ان هذه المحاضرة المطرانية النفيسة واردة بنصها الكامل غير المجزوء في « مجموعة محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق » — جزء ٢ — سنة ١٩٥٤ (ص ٦٢—٧٥) ، وليته أثبت في كتابه هذا النص الكامل عوضا عن التلخيص الناقص .

وتعجبني في الدكتور محمد صبري محبته المسرفة للعلم وهرعه الى كل ما يزيد من حصيلة مباحثه وفتوحاته . ولهذا فان الدكتور صبري لا يفرغ من بحث حتى يعيد النظر فيه ويسعى وراء استكمال ما فيه من نقص ولن يدهشني ان ارى صبري عاكفا على اصدار طبعة جديدة او جزء جديد لكتاب « خليل مطران : اروع ما كتب » يدرج فيه اشياء كثيرة جديدة وقعت له في مباحثه التي نعرف لها اولا ولا نعرف لها منتهى .

فاستاذنا صبري — الذي خلط الناس بينه وبين الشاعر اسماعيل صبري باشا في اول هذا القرن — مغامر كبير في ميادين الادب والتاريخ ، ولكتبه وقع القارعة في الجو الادبي والميدان التاريخي لانها حافلة بكل جديد معروضا بشجاعة ادبية وصرامة منهجية تنحني لها الرؤوس . انه واحد من القلة التي يصدق فيها قول الشاعر : فانك واحد بمقام ألف .

القاهرة — وديع فلسطين

اوراق ملونة

تاليف سمير شيخاني – ١٨٠ صفحة – منشورات دار السمير للطباعة والنشر ببيروت – لم يذكر اسم المطبعة .

عود الاستاذ سمير شيخاني قراءه على ان يطل عليهم في كل مرة بكتاب جديد ، يجدون فيه متعة ، ويجنون منه فائدة . وها هو اليوم يضع بين ايديهم كتابه « اوراق ملونة » وهو كتاب ضخم ، مزين بعدة رسوم، وانيق الترتيب .

لقد جمع المؤلف فيه اقوالا مأثورة في الرجل والمرأة . جمعها منتقاة عن العربية والفرنسية والانكليزية والاسبانية ... وقسمها الى ابواب . فهذه الاقوال ، مثلا ، هي من باب الحب ، وهذه من باب الكراهية والحقد . وتلك من باب النصح . واخرى من باب العدل . واخرى من باب الفضيلة ...

والذي يظهر بوضوح لمن يطالع « اوراق ملونة » ان جامعها اهتم بالاقوال التي تخص المرأة اهتماما بالغا . ومن الصعب ان تطوى صفحة ما ، دون ان يكون البصر قد وقع على اكثر من خمس جمل تتحدث عن المرأة . وكانني بسمير شيخاني يحب المرأة ويقدرها اكثر من غيره الذين جمعوا ما قيل عن المرأة وفيها . ولو جمعت الاقوال عن هذه المخلوقة من « اوراق ملونة » لكان بامكانها ان تظفر بكتاب خاص بها .

يقول على لسان بلوتارك :

عندما تنظر المرأة الى نفسها في المرآة وتعترف بان الجمال يعوزها ، ينبغي لها ان تردد بينها وبين نفسها : « آه ، ما كنت لو كانت الفضيلة تعوزني ؟ » واذا كانت جميلة ينبغي لها ان تردد : « لكم اكون اكثر احتراما لو كانت الاخلاق الحميدة رائدي » .

وعلى لسان لندور يقول :

ليس ثمة صداقة ودية وحلوة كصداقة فتاة لفتاة ... وليس ثمة حقد شديد ومقيم كحقد المرأة على المرأة .

ويقول على لسان احمد الصافي النجفي :

بدمع الفواني في الهوى يوثق فمن يشجه دمع الفواني فاحمق
بكيت الى ان قلت لم تبق ادمع لفيري واذ غيري بدمعك يغرق
بكيت امامي في الهوى وامامه بربك قولي اي دمعيك اصدق
بعينيك نبع لا تغيض مياهه اذا غاض نبع الانهر المتدفق

وعلى لسان نيتشه يقول :

أذاهب انت الى المرأة ؟ اذن ، لا تنس السوط .

وفي صفحة ١٣٦ ينتقل سمير شيخاني الى صنف الرجال . فيجمع الاقوال التي قالها هذا الاديب وذلك الفيلسوف وتلك الشاعرة .. عن الرجل ، ويقدمها لقارئه في قالب جذاب . يقول على لسان شكسبير :

لا تبتئسن ، أيتها النساء ، فالرجال مفطورون على الخداع ، قدم في البحر ، وقدم على الشاطىء ، ولا يعرفون الاستقرار .

وعلى لسان جورج صاند يقول :

الرجال يعاملون النساء في الحب كالبغايا ، وفي الزواج كالخادمات، ورغم ذلك فهم يطالبونهن بالوفاء .

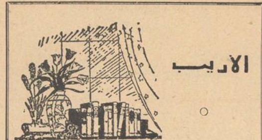
الى ما هنالك من اقوال يضيق المجال عن سردها .

وقصارى القول ان « اوراق ملونة » لمن الكتب الطريفة التي تحتاج اليها المكتبة الثقافية. وكل امرىء سوف يرجع الى هذا الكتاب بدافع من شوق ، ويثني على همة ونشاط الذي قام بجمع الاقوال فيه .

فسمير شيخاني واحد من ادبائنا الذواقة ، يعمل بحرص على ان ياتي انتاجه غنيا بالزاد العقلي ، ومثقلا بالمعاني التي يهضمها القارىء بسرعة . وعسانا نلتقي معه قريبا على صفحات « اصبحت كل حياتي ، كانت الدنيا لنا » ، وهما روايتان هو الان في اعدادهما .

ابراهيم عبده الخوري

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل.
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Direct : 223819 Tél.
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle. : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان



● الشريط الذي لا ينقطع – مجموعة قصص – تاليف ميلاد نجمة – مصمم الغلاف عبد القادر ارناؤوط – مع عدة لوحات داخلية بريشة : لؤي كيالي ، فاتح المدرس ، الياس زيات ، نبيه قطاية ومحمود دعدوش – ١٢٠ صفحة – منشورات الفن الحديث العالمي (؟) – مطابع فتى العرب بدمشق .

● المذهب الاخلاقي في القرآن الكريم – خلاصة اطروحة للدكتوراه قدمت الى جامعة ادنبره عام ١٩٥٨ – تاليف الدكتور صالح الشماع رئيس قسم الفلسفة في كلية الاداب بجامعة بغداد – تقديم الدكتور عبد العزيز الدوري – ٤٨ صفحة – منشورات جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين – نشر مكتبة النهضة ببغداد – مطبعة الازهر ببغداد .

● دن الدموع – ملحمة – تأليف الدكتور علي الناصر – ٢٨ صفحة – مطبعة الضاد بحلب .

● الاقتصاد الزراعي ومشكلاته – تأليف الدكتور عبد الصاحب العلوان الدكتور ضياء احمد ، عبد المجيد حسيب القيسي ، وعبد الرزاق الهلالي – ٦٤ صفحة – منشورات جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين – نشر مكتبة النهضة ببغداد – مطبعة الارشاد ببغداد .

● الدرس قبل اللعب – مسرحية شعرية في فصل واحد – تأليف علي الشوبكي – ٢٠ صفحة – حجم كبير – مطبعة المعارف ببغداد .

● ثورة شاعر – مجموعة شعرية – عز الدين الجراح – ١٦٠ صفحة – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نبذة تاريخية عن حياة رهبان بكاسين – تأليف جرجي ابراهيم نصر – ٤٦ صفحة – حجم كبير – مطبعة الرهبانية اللبنانية ببيروت .

● تفسير التاريخ – تأليف الدكاترة : عبد العزيز الدوري ، صالح احمد العلي ، ياسين عبد الكريم ، جعفر حسين خصباك – ٦٤ صفحة – منشورات جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين – نشر مكتبة النهضة ببغداد – مطبعة الارشاد ببغداد .

● مناهج البحث في علم النفس – الجزء الثاني – اشرف على تاليفه ت. ج. اندروز – اشرف على ترجمته الدكتور يوسف مراد – ٥٤٢ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● الإثراء على حساب الغير في تقنينات البلاد العربية – القسم الاول : الاحكام العامة – تاليف الدكتور سليمان مرقص – ١١٢ صفحة – حجم كبير – منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية – مطابع دار النشر للجامعات المصرية بالقاهرة .

● خيار الشرط في الفقه الاسلامي « المذهب الحنفي » – تاليف شفيق ايوب – ٢١٠ صفحة – حجم كبير – منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية – المطبعة العالمية بالقاهرة .

● الوقف – تاليف محمد ابو زهرة – ٤٤٨ صفحة – حجم كبير – منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية – مطبعة احمد مخيمر (؟)

● القانون الدولي الخاص العربي – الجزء الثالث – في تنازع القوانين – تاليف الدكتور جابر جاد عبد الرحمن – ٣٢٠ صفحة – منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية – المطبعة العالمية بالقاهرة .

● عقد النقل النهري في التشريع العربي والمقارن – تاليف الدكتور محمد كامل امين ملش – ١٨٤ صفحة – حجم كبير – منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية – مطبعة الرسالة (؟)

● أحكام الاحوال الشخصية لغير المسلمين من المصريين – الجزء الخامس – في موانع الزواج – تاليف الدكتور شفيق شحاته – ٩٢ صفحة – حجم كبير – منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية – المطبعة العالمية بالقاهرة .

● القانون المدني العراقي : حق الملكية في ذاته – تاليف الدكتور صلاح الدين الناهي – ٣٠٤ صفحة – حجم كبير – منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية – مطبعة الرسالة (؟)

● اصلاح المحركات الكهربية – الجزء الثاني – تاليف روبرت روزنبرج – ترجمة الدكتور محمد احمد قمر – مراجعة الدكتور عبد الله محمود الجمال – ٢٩٦ صفحة – مع الرسوم – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعرفة (؟) – مطبعة مصر بالقاهرة .

● القلب الشجاع – تاليف ارمسترونج سبيري – ترجمة وتقديم اسماعيل الحبروك – ٨٠ صفحة – مصورة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● تعالى معي الى ... المكتبة – تاليف نومي بوكهيمر – ترجمة الانسة نفيسة جوهر – مراجعة احمد عيسى – تقديم احمد زكي محمد – ٥٠ صفحة – مصورة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مؤسسة طباعة الالوان المتحدة (؟)

● تراثنا في الفلسفة – تاليف ميخائيل عون – ١٠٠ صفحة – (لم يذكر اسم المطبعة او اين طبع) .

● ابو الطيب المتنبي ، عملاق الواقعية في الشعر العربي – تاليف رضوان الشهال – ١٨٤ صفحة – سلسلة « اضواء على الادب العربي » – مطابع نمنم ببيروت .

● في الشعر والفن والجمال ، عرض لمفهوم علمي في الشعر وقيمه الفنية الجمالية – تاليف رضوان الشهال – ١٧٦ صفحة – سلسلة « اضواء على الادب العربي » – مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت .

● قوس قزح – القصة الفائزة بجائزة ستالين الروائية – تاليف فاندا فاسيلفسكا – ترجمة مارون عيسى الخوري – ٣٠٤ صفحة – حجم كبير – منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت – مطابع دار مكتبة الحياة بيروت .

● سوانح مسيحية وملامح اسلامية : حول مخطوط مزوق في القرن السابع الهجري – تاليف بشر فارس – باللغتين العربية والفرنسية – القسم العربي ٧٠ صفحة – القسم الفرنسي ١٢٠ صفحة – مع ١٢ لوحة – حجم كبير – منشورات « رسائل المجمع العلمي المصري » بالقاهرة – مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة .

● شارب النمر ، وقصص واساطير اخرى من آسيا والمحيط الهادي – تاليف هارولد كورلاندر – ترجمة حازم علي فودة – ١٥٢ صفحة – مزين بالصور – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مقارنات في الادب الكلاسيكي – ترجمة حبيب سلامة – تقديم وتعريف عباس محمود العقاد – ١٤٤ صفحة – الكتاب رقم ٥ في سلسلة « حول مائدة المعرفة » – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) مطبعة مصر بالقاهرة .

● ظهر في اسواق الولايات المتحدة دواء جديد يدعى كابلا يخفض من ارتفاع ضغط الدم بدون احداث اعراض جانبية . واظهرت التجارب انه يهدىء من نشاط مراكز السيطرة في الدماغ والنخاع الشوكي التي لها دخل مباشر في تطور ارتفاع ضغط الدم . وصرح الدكتور هاري شوبين المدير الطبي لمستشفيات ولف وبرود ستريت في فيلادلفيا ، بان الدواء الجديد استخدم بنجاح في معالجة ١٠٠ مريض مصابين بانواع متعددة من ارتفاع ضغط الدم . وجاءت النتائج تتراوح بين ممتاز وجيد في ٧٠ ٪ من حالات الضغط العادي . وفي ٨٤ ٪ من ٩٣ مريضا مصابين بارتفاع دياستوليكي استطاع الدواء اعادة الضغط الى النطاق الطبيعي .

● في اجتماع للجمعية الكيمائية الاميركية تحدث العلماء عن اكتشاف مادة جديدة لتجميد الدم وعن صنع مواد تقلد المواد الحية . وعن اكتشاف مادة تشبه السكر قد يكون لها سيطرة على السرطان . وقال الدكتور والتر سيفرز أحد اساتذة كلية الطب في جامعة واين ان المادة الجديدة لتجميد الدم قد تحدث ثورة في الابحاث عن الجلطة الذي يسد الاقنية الدموية وفي امراض النزف الدموي . وانسداد الاقنية بالجلطة ويدعى (ترومبوسيس) هو تجمد الدم داخل الجسم فقد يؤدي الى شلل او الى امراض قلبية وقد تكون الجلطة في كلا الحالين مميتة . اما الامراض النزفية ومنها داء الهيموفيليا فتنتج عن عدم قابلية الدم للتجمد . وقال الدكتور سيفرز ان المادة الجديدة تسمى اوتوثرومبين وهي أقوى مادة لتجميد الدم عرفت بعد الثرومبين وهي شبيهة جدا بالثرومبين بحيث لم يكتشف العلماء انها مادة مستقلة عنه الا مؤخرا . وهي من نوع الافرازات التي تنشط الحياة وتشرف عليها داخل الجسم . وقال الدكتور سيدني فوكس من جامعة ولاية كاليفورنيا ان مواد صناعية حية خلقت بواسطة مواد كيمائية عادية ولكن في اوضاع تشبه تلك التي ربما كانت سائدة على الارض منذ ملايين السنين. وقال عالمان تابعان لمعهد الصحة الوطني ان اختبارات جرت مؤخرا دلت على انه ربما كان من الممكن استعمال مزيجا شبيها بالسكر لمقاومة السرطان . وهذه المواد المعروفة باسم بولي ساكارايد يعرف عنها بانها تهاجم السرطان الا انها سامة جدا . وقال العلماء ان تجاربهما تدل على انه ربما كان من الممكن فصل المادة التي تهاجم السرطان عن المواد التي تسبب التسمم .

● اجرى اطباء مستشفى كيروف العسكري بلينينغراد التجربة التالية : خلال اربعة اشهر

في كلمات...

كانوا يدخلون الـ « كولسترين » الى معدة الارانب . وكانت بعض الارانب تتلقى الكولسترين محلولا في زيت دوار الشمس بينما بعضها الاخر كان يتلقاه في زيت الذرة الصفراء . وكانت النتائج ان الارانب التي تلقت الكولسترين محلولا في زيت الذرة الصفراء كانت نسبته لديها تقل اربعة اضعاف .

● أصبح بالامكان اكتشاف العطب الحاصل في قلوب تسعة من كل عشرة اطفال عن طريق تسجيل نبض القلب على شريط ثم الاستماع اليه ثانية . وفي تجربة من هذا القبيل اجريت في شيكاغو كشف الشريط عن وجود شذوذ في تصرفات قلوب ٦٤ طالبا من مجموع ٢٣٤،٠٢٦ طالبا . وكانت معظم العاهات موروثة او ناتجة عن الحمى الروماتيزمية التي تخدش صمامات القلب . وقد جرى تسجيل نبضات كل طالب خلال ٢٥ ثانية تقريبا ثم جرى الاستماع الى الشريط فيما بعد واشرف على تحليله فريق من الاطباء .

● ستجري خلال هذا العام تجارب حول لقاح بريطاني جديد اسمه انترفيرون يتمتع بامكانية شفاء الامراض التي تسببها الفيروسات في الانسان ، او الوقاية منها ، وذلك في المؤسسة البريطانية لابحاث الزكام في سولزبوري . والانترفيرون مادة قاتلة للفيروسات وقد اكتشف في المعهد الوطني للابحاث الطبية في « ميل هيل » في لندن . وقد ظهر ان اثره فعال ضد الفيروسات في المختبر ، ومن المحتمل ان يستعمله رجال الابحاث في المؤسسة المذكورة على انفسهم قبل سواهم . واذا ظهرت فائدته فستجري التجارب على المتطوعين .

● اعلن فيد لارسيد مساعد وزير الجيش الامريكي بان الولايات المتحدة تحرز تقدما كبيرا في انتاج « غاز اعصاب » من شانه ان يفقد سكان مدينة كبيرة القدرة على القيام باي عمل عدة ساعات . وقال ان الروس يخزنون كمية كبيرة من غاز مماثل . وان روسيا في استطاعتها استخدام مثل هذا الغاز لجعل القوات المسلحة والمدنيين غير قادرين على العمل حتى تتم لهم السيطرة على صناعات غرب اوروبا دون تدميرها .

● استطاع اساتذة كلية الطب بالتعاون مع اساتذة كلية الهندسة في جامعة تنسي من تطوير جهاز راديو باث يوضع داخل كبسولة خاصة وبامكانه الانباء عن درجة الحموضة داخل المعدة بعد ان يكون المريض قد ابتلع الكبسولة . وقد ربط اليكترود حساس يتأثر بالحموضة الى الراديو الكبسولة وهكذا يبث جهاز الراديو لاسلكيا درجة الحموضة التي يسجلها الاليكترود . اما الاشارات اللاسلكية فهي على ذبذبة ٩ ميغاسايكل وستة اعشار الميغاسايكل وقوتها تبلغ جزءا من الف من الوات . ونظرا لان مدى البث قصير جدا يلبس المريض انتين بشكل حزام ويستطيع الانتين التقاط الاشارة وايصالها الى جهاز لاقط خاص عن بعد اقصاه متر عن المريض . ويقول العلماء ان جهازهم لا يزال في طوره البدائي الخام . وقد جرى تطوير الجهاز كوسيلة لتحديد مستوى الحموضة في المعدة الذي له علاقة هامة بالقرحة والسرطان المعديين .

● يجري في الولايات المتحدة اختبار تاثير النظائر المشعة المحقونة في مجاري الدم ، في معالجة بعض اعضاء الجسم الداخلية المصابة بالسرطان . والطريقة المتبعة هي ان تحقن كرات صغيرة فخارية تشتمل على نظائر مشعة في الشريان الرئيسي الذي يحول الدم الى العضو المريض وهذه الكرات تحبس داخل الشرايين الدموية الاصغر حيث تسلط النظائر المشعة ، اشعاعاتها الشافية على المنطقة المروضة . وقد وجد الدكتور جون باري من مدرسة الطب بجامعة منيسوتا ، لدى استخدامه هذا الاسلوب ، ان الكرات الصغيرة يمكن ان توزع توزيعا متكافئا في اكباد الحيوانات ورئاتها . وقد عولج حتى الان مريضان بسرطان الكبد بهذا الاسلوب ولكن لا بد من اجراء تجارب اوسع لتحديد فعالية هذا العلاج .

● يشكل نوع جديد من الات تسجيل الصوت التي تنتج في بريطانيا مجالا للمعالجة في المستشفيات . وهذه الالات التي صنعت خصيصا لاستعمال المرضى تساعدهم على الراحة والاسترخاء بواسطة برامج موسيقية اعدت بصورة سيكولوجية . وقد زود العديد من المستشفيات منذ سنوات بتسهيلات تمكن المرضى من السماع شخصيا ودون ازعاج الاخرين الى الاذاعات وبرهن ذلك عن فائدة عظيمة ساعدت على اظهار البرنامج الجديدة الى حيز العمل .

● تطور جديد جرى اكتشافه في مستشفى معهد الدراسات النووية التابع للجنة الطاقة الذرية الاميركية . وهذا التطور هو اكتشاف استخدام معدن السيزيوم المشع للاشعاع العلاجي . فحياته الاشعاعية اطول بستة اضعاف من حياة الكوبالت اما تكاليفه فتبلغ نصف تكاليف الكوبالت .

● صرح الدكتور اندريه اوبان عضو اكاديمية

الطب الفرنسية بان الاصابة بالانفلونزا اثناء فصل الشتاء تسبب مضاعفات خطيرة لمرض السل وتزيد من حدة مرضهم . واكد الطبيب ضرورة حقن مرضى السل بمصل مضاد للانفلونزا .

● دعا المجلس الاعلى للعلوم في مصر ٥ علماء متخصصين في البلهارسيا لحضور الندوة العالمية التي تقرر اقامتها في القاهرة يوم ٣ مايو الجاري لمناقشة البلهارسيا . وقد وصل عدد الابحاث التي ارسلت من الدول المشتركة ٤٩ بحثا عن البلهارسيا وطرق القضاء عليها . وقد شكلت لجنة لتقييم هذه البحوث وستعطى جوائز لاحسن البحوث قيمتها ٥٠٠ جنيه .

● أعلنت وزارة الزراعة الامريكية عن استخدام مواد كيمائية كانت تختبر كاسلحة ضد السرطان ، لتعقيم ووقف تكاثر عدد من الحشرات الناقلة للامراض . فقد اوقفت مشتقات الاثيلينيميين وهي مجموعة من العقاقير المستخدمة في ابحاث معالجة السرطان، بصورة فعالة تكاثر الذباب والبعوض والمن وذباب المواشي . وكانت المواد الكيمائية اللازمة لوقف نمو الحشرات المؤذية تحت الدرس طوال السنوات الخمس الماضية . وفي تجارب اخرى اجرتها وزارة الزراعة ، امكن تعقيم الحشرات نتيجة تعريضها لاشعة كوبالت – ٦٠ .

● من انباء نيوزيلندا الطريفة انه تقرر ، لصالحة الابحاث العلمية ، منح من شاء من الاطفال حق قص شعره مجانا لمدة ستة شهور . وهذه التجربة هي واحدة منسلسلة تجارب عامة واسعة يقصد بها تقدير اثر بعض العناصر التي يمكن استقصاؤها في الاطعمة المختلفة والتربة ومياه الشرب ، في تسوس الاسنان الذي يكثر تعرض الاطفال له . ويعتقد ان شعر الاطفال يقدم صورة جديرة بالثقة عن كمية ما يمتصه من هذا النوع من المواد في وجبات الطعام وعن تركيبها .

● اصدر الطبيب البريطاني فرانك لانجنورد نداء ناشد فيه ان يتطوع احد المصابين بسرطان الرئة ليجوب معه المدارس البريطانية وذلك ضمن الحملة التي يقوم بها لاقناع الطلبة بالاقلاع عن التدخين .

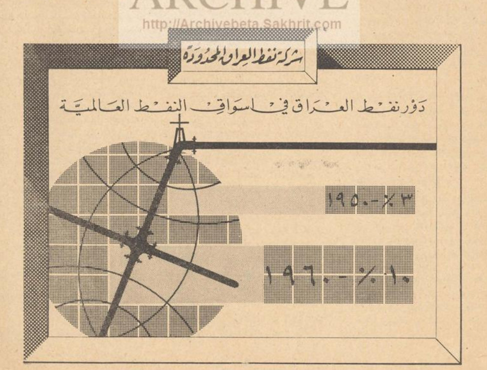
● ثبت ان فئران التجارب التي تعرضت للاشعاعات الذرية بنسبة قاتلة تعيش مدة اطول اذا اعطيت كميات يومية كبيرة من زيت كبد الحوت . أجريت هذه التجارب في معامل الابحاث الامريكية .

● انتخبت مارجريت بيري عضوا في اكاديمية العلوم الفرنسية باجماع الاصوات . مارجريت بيري اكتشفت عنصر «الفرانسيوم» واصيبت بالتلوث الاشعاعي وهي تجري ابحاثها .

● اختارت الهيئة الصحية العالمية «العمى» موضوع هذا العام لمناقشته وتوحيد الجهود لمكافحته في جميع المكاتب الاقليمية التابعة للهيئة . صرح الدكتور عبد الحسين طبا مدير المكتب الاقليمي لدول شرق البحر المتوسط ، ان هذه الدول تضم ٢ مليون مكفوف و ٥ ملايين يرون بعين واحدة . السبب في ذلك الرمد الصديدي الذي يؤدي الى ٨٠ ٪ من حالات العمى ، وقد نكبت به شعوب الشرق الاوسط . وقال ان الهيئة الصحية العالمية قامت بحملات علاجية ناجحة ظهرت نتيجتها في اثيوبيا حيث هبطت الاصابة بالرمد من ٧١ ٪ الى ٣٩ ٪ في منطقة البحر الاحمر . وفي منطقة جابس بتونس هبطت الاصابة من ٩٠ ٪ الى ٥٤ ٪ وكل ذلك بسبب المضادات الحيوية وقال ان الهدف من يوم الصحة العالمي الذي احتفل به في الشهر الماضي هو استثارة اهتمام الشعوب للانضمام الى الحملات العلاجية ضد العمى .

● اكتشف علماء اليابان ان الشاي يحتوي على مادة تحمي الانسان من مفعول الاشعاعات الذرية ! اعلنت الخبر احدى شركات الشاي في هامبورج ونصحت الناس بان يتناولوا اكبر كمية من الشاي .

● تتضاءل حجوم الاجهزة التي تساعد الصم على السمع يوما بعد يوم . ويعتقد احد اطباء



الاسنان في سلاح الجو البريطاني انه نجح في ابتكار جهاز يكاد لا يرى ، ويمكن تركيزه في أحد اسنان الاصم. وهكذا يمكنه سماع الاصوات . ويقول الطبيب انه جرب جهازه على أحد ضباط السلاح فاصاب نجاحا كبيرا ، ويعتزم تجربته الان على عدد من طلاب المدارس الذين يشكون ضعفا في سمعهم .

● تم الاتفاق مع البروفسور كاستودي خبير الانفصال الشبكي الذي زار القاهرة اخيرا على ان يقوم بتمرين طبيبين مصريين على طريقته في المانيا سنويا وايفاد اثنين من كبار الاطباء كل شهرين الى المانيا للاطلاع على ما يجد من تطورات على هذه الطريقة . وكان كاستودي قد قضى في زيارة مصر ٣ اسابيع أجرى خلالها ١٤ عملية وشخص ١٣٠ حالة .

● توفي في الشهر الماضي من جراء نزيف في الدماغ العالم ارثر كومبتون الحائز على جائزة نوبل والذي ادى عمله الى اكتشاف القنبلة الذرية . وقد دخل كومبتون مستشفى التابيتس في بيركيلي في اول مارس وهو يشكو من الدوخة والغثيان . وفقد وعيه بعد يومين ، وظل كذلك حتى فارق الحياة . ويعتبر كومبتون اشهر العلماء الاميركيين .

● وافقت وكالة الطاقة الذرية الدولية (بمقرها في فينا) على ان مركز التدريب على النظائر المشعة في القاهرة هو المركز الرئيسي الاقليمي للشرق الاوسط ، على ان يكون هو المختص بتدريب الخبراء من جميع دول الشرق الاوسط على استخدام النظائر المشعة في الطب والصناعة والزراعة والهندسة .

● اغنى حقل للبترول ينتظر العثور عليه في القطب الشمالي في منطقة تمتد ٢٥٠٠ كيلومتر من شمال كندا الى الاسكا فان الدراسات الاولية التي تمت في هذه المنطقة بمعونة انفجارات الديناميت وقياس الهزات الارضية دلت على انها تحتوي على الصخور التي يكثر فيها الزيت . وللتوسع في دراسة هذه المنطقة سافرت بعثة جديدة من الخبراء الكنديين والامريكيين لرسم خريطة تفصيلية لجزر هذه المنطقة وما يغطيها من جبال الجليد وما تحتها من قاع المحيط الذي يتفاوت عمقه بين ٤٠٠ و ٥٠٠ متر . وفي سبيل الحصول على هذه الحقول الفنية لا ترى شركات البترول أي مانع من العمل في هذه المناطق الباردة التي تهبط فيها الحرارة الى درجة ٥٥٥ مئوية تحت الصفر فضلا عن العواصف الهوجاء التي تسود هذه المنطقة في شهر مارس ولكن الجو يصير صحوا في شهر ابريل .

● تجري ابحاث في جامعة مانشستر في دائرة الدراسات الكيميائية الجيولوجية تهدف الى التمكن من اكتشاف المعادن والنفط في قاع البحار دون القيام بمحاولات مكلفة . ولقد توصل فريق العلماء المستقل في هذا الحقل الى الاسراع في اكتشاف الاماكن التي تقوم فيها المعادن والنفط تحت مياه البحر عن طريق فحص عينات من التراب والاوحال الماخوذة من القاع .

● اوجد العلماء السوفياتيون ضغطا صناعيا جبارا يتجاوز ضغط مركز الكرة الارضية (ثلاثة ملايين جو) في منشاة تجريبية تصطدم فيها صفيحتان لاحداهما سرعة كونية (٨ كيلومترات في الثانية) ان السوائل والغازات تصير تحت هذا الضغط صلبة كالمعادن كما وان العازلات تصير موصلة ويتحول السخام الاسود الى ماس متلالىء .

● تقوم جامعة كمبردج بصنع دماغ آلي من حجم راس الانسان وباستطاعته ان يحل ملايين العمليات بسرعة تكاد لا تصدق . وسيقوم مقام الادمغة الالية الكبرى الموجودة الان والتي تحتل فراغ غرفة كبيرة بكاملها . وهكذا سيعمل الدماغ الجديد على تخفيض نفقات صنع هذه الاجهزة الالكترونية العجيبة الضرورية التي تستخدم في الصناعات بصورة خاصة وفي مختلف المصالح الحيوية الاخرى فيميدان الاعمال والابحاث الدراسية والعلمية المعقدة .

● ظهر في بريطانيا جهاز راديو جيب صغير يظن انه اصغر جهاز من نوعه في العالم . ويزن هذا الجهاز حوالي ٢٢٧ غراما ولا يزيد حجمه كثيرا على حجم علبة سكاير . وهو يتيح سماع المحطات البريطانية والاوروبية . اما المفاتيح فهي على جانب الجهاز وذلك تسهيلا لتشغيله بيد واحدة . وله سماعة توضع على الاذن للسماع الشخصي . ويبلغ سعره حوالي ١١ جنيها استرلينيا .

● انتاج الورق الفوتوغرافي ، شانه شان كل انتاج ، له نفايات محتومة . وفي الاتحاد السوفياتي تزن هذه النفايات الاف الاطنان . وقشرة المستحلب تحوي فضة . والنفايات تحرق عادة ويظل المعدن الثمين في الرماد . ولكن الرماد يجمع في اوعية ليرسل الى مصنع المعالجة . وفي هذا المصنع يستعاد سبعون بالمئة من الفضة فقط . وهناك طريقة جديدة اقترحها اختصاصيو مصنع استعادة المعادن الثمينة في موسكو تسمح باستعادة ٩٦ ٪ من الفضة . الورق لا يحرق الامر الذي يقدم اطنان الفضة والاف اطنان الكتل الورقية .

● ستدخل الخدمة الفعلية في سلاح الجو الفرنسي قذيفة حوامة مضادة للطائرات تدعى « ر - ٥٢٠ » وهي تطلق من الجو الى الجو وتستطيع ملاحقة الطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت وتدميرها في مدى اقصاه ٤٠ كيلومترا .

● احدث ما انتجته الصناعة البريطانية من آلات للطباعة بالاحرف العربية من طراز « لينوتايب » ستعرض في المعرض الدولي في ديسلدورف ، بالمانيا ، في شهر مايو الجاري . ومن جملة الالات المعروضة والتي قامت بصنعها شركة لينوتايب اند ماشينري آلة سريعة تعمل بواسطة شريط ومزودة بأحدث طراز من الاحرف العربية المختصرة . مما يتيح صف الكلمات من على المنضدة الرئيسية اما بواسطة اليد او بصورة اوتوماتيكية وذلك بسبب تخفيض عدد الاحرف الهجائية الذي تم باستعمال شكلين فقط من الاحرف بدلا من الاشكال الاربعة . وكان يتم صف الاحرف في السابق بواسطة آلة لها مستودع جانبي مع منضدة اضافية .

● يفكر الخبراء البريطانيون في تطبيق مبدأ اقلاع الطائرة بشكل عمودي على صناعة السيارات بحيث يصبح في وسع السيارة بواسطة محرك خاص بالاضافة الى محركها العادي ان تقفز فوق عدد من العوائق التي تقوم في سبيلها ثم تتابع سيرها من جديد .

● تمكنت شركةدنلوب رابر كومبانيفي لندنمن صنع طراز من السلالم الكهربائية باستطاعتها حمل ٦٠ شخصا والسير بهم بسرعة ٦٠ مترا في الدقيقة على طريقة افقية او منحنية الى مدى ١٥ درجة . ومن المنتظر ان ينتشر استعمال هذه السلالم ليشمل المراكز التجارية ، ومحطات السكك الحديدية والمطارات .

● تقوم دائرة التجارب التابعة للامبراطورية البريطانية بتجربة تليفون يمكن للغطاسين استخدامه على عمق ٤٠ مترا تحت الماء . وهو يعمل عن طريق ارسال الذبذبات الصوتية واستقبالها عن طريق عظام الراس والناتجة عن النطق . ويمكن ارتداء الجهاز داخل قبعة الغطاس المصنوعة من المطاط .

● بدأت احدى الشركات البريطانية ببيع انتاجها من مادة سائلة عازلة لا تذوب ولا تتاثر بالماء وهي ذات اهمية في الصناعات الكهربائية والالكترونية . وتستعمل هذه المادة واسمها بروتوكوت ، بطريقة الرش .

● قالعات البطاطا السوفياتية الجديدة التي يمكن استخدامها كذلك في قلع الشمندر (البنجر) لا تخشى الحجارة مطلقا وهي بسيطة وموثوقة في العمل . انها مزودة ب « كشاف » طريف يشير الى الخطر

(الحجارة في التربة وعوائق اخرى) . ان مصنع « باشفيك » في لنفراد سوف ينتج اربعماية من هذه القالعات في هذه السنة .

● عمد المهندسون البريطانيون الى ابتداع طرق جديدة مبتكرة في حفر الانفاق بصورة سريعة لجر المياه او للمجارير او لخطوط السكك الحديدية . وقد استطاعوا تبطين داخل نفق جديد تم حفره في لندن دون استخدام الحديد في الاسمنت وطول النفق ١٩ ميلا لجر المياه وهو أطول نفق في اوروبا بمعدل ١٢٠ مليون غالون في اليوم الواحد . كما انه يمر عبر تربة صلصالية لينة .

● اعلنت سلطات مصلحة الكهرباء العامة في بريطانيا امام خبرائها ومهندسيها انه سيصبح في امكانهم الاعتماد على الدماغ الآلي في حل قضايا عديدة معقدة تحصل للخطوط والتيار والاجهزة الكهربائية ومعرفة اماكن الخلل وارسال التعليمات لتنفيذها لدى الاقتضاء في الاماكن المعينة . وتجدر الاشارة هنا الى ان الدماغ الآلي يستخدم الان في شتى المصالح الصناعية المعقدة والكيميائية وفي مختبرات الفيزياء والابحاث الجيولوجية والطيران السريع وغير ذلك من الميادين العلمية المويصة للاسراع باعطاء الاجوبة عن اسئلة تكتيكية دقيقة تستلزم ساعات او اسابيع لحلها بواسطة الانسان .

● اكتشف علماء الفلك ، الدكتور جيسي جرينشتاين والدكتور جون جوجاكو والدكتور والاس سارجينت ، مجموعة شمسية جديدة . ويقول الخبراء بان هذه المجموعة تخلق معضلات غامضة في العلوم النووية . وتبعد هذه المجموعة الشمسية التي يقدر عددها ما بين ١٠٠ و ٢٠٠ نجمة ، حوالي ٥٦ ترليون (الف مليون بليون) كيلومتر عن الارض ، ويقدر عمرها بعشرين مليون سنة . وقد اطلق على هذه المجموعة الجديدة الاسم العلمي « دراي سينتوريا » . اما الذي ذهل العلماء بشانها ، فهي ان هذه النجوم لا تدور ، وان درجة الحرارة فيها تقارب ٢٧ الف درجة مئوية ، اي ثلاثة اضعاف درجة حرارة الشمس . اما بقية النجوم الساخنة ، فتدور عادة بسرعة فائقة . وفي هذه النجوم ، وجد للمرة الاولى « هيليوم ايسوتوب ٣ » ، كما اكتشف « الكريتوم » الذي يصبح طليقا عند تجزءة الذرة . ويحتوي جو المجموعة « دراي سينتوريا » على الجاليوم بمقدار ١٠ الاف مرة اكثر منه في الجو الاعتيادي – وهذا العنصر هو من العناصر النادرة الوجود – كما يحوى جوها الفوسفور بمقدار ١٠٠ ضعف المعدل ، و ٥ اضعاف الازوت ، و ٤ اضعاف الحديد . وامكن العثور على مقدار ضئيل من الاوكسيجين والهيليوم . ومما يدهش ان هذه النجوم الجديدة تماثل النجوم ذات المجال المغناطيسي ، تماثلها من ناحية العمر والتوهج، الا انها تفتقد المجال المغناطيسي المذكور .

● ذكر عضو اكاديمية العلوم السوفياتية فاسيلي فيسنكوف ان علماء الفلك السوفيات اكتشفوا ان درجة الحرارة على سطح كوكب الزهرة تبلغ ٣٠٠ درجة مئوية وبالتالي تشكل برهانا جديدا على انعدام الحياة فيه . واضاف فيسنكوف انه من المعروف منذ زمن طويل ان ٧٥ ٪ من جو كوكب الزهرة يتالف من « ثاني اكسيد الكربون » وذلك برهان اخر مقنع على انعدام الكائنات الحية هناك . وقال ان درجة الحرارة في الزهرة سجلت بواسطة الرصد الفلكي اللاسلكي .

● العالمان السوفياتيان ايفانكو وساغيتوف وضعا فرضية جديدة يؤكدان ان شعاع الارض يزداد ٦٫٨ سنتيمترات في كل قرن . واستخدم العالمان نظرية الفيزيائي الانكليزي ديراك حول امكان تخفيض قوة الجاذبية الامر الذي يمكن ان يؤدي الى زيادة ابعاد الارض .

● اكتشفت سفينة امريكية «محطمة للثلوج» جزيرة جديدة بقرب ساحل «ماري بيرولاند» في القطب الجنوبي ، وهو ساحل لم ترتده سفينة من قبل، ولا يسكنه غير طيور البطريق. وقد حلقت طائرة هليكوبتر من السفينة فوق الجزيرة والتقطت لها صورا لاجراء دراسة عليها . وقد اعلن ان الجزيرة مساحتها ميلان.

● سلمت جمجمة كركدن متحجر لمتحف علم خصائص الحيوانات فيفرغانا. وهذه الجمجمة اكتشفها الضابط ن. ايلاكين في مقطورة مواد اولية فسفاتية وصلت الى كوكاند من كازاخستان . واثبت ان هذا الكركدن كان يعيش في الطور الثلاثي المتوسط وجمجمته تزن ١٦٥ كيلوغراما .

● اعلن العالم البريطاني ليكي ان نوعين مختلفين تماما من الادميين عاشوا في تنجانيقا منذ مليون و ٧٥٠ الف عام ، واحد الجنسين يشبه الانسان الحالي والاخر يختلف عنه اختلافا تاما .

● اكتشف جيولوجيو ليتونيا في حوض نهر فنتا شجرة سماكة جذعها خمسة امتار . ولقد ظلت الشجرة في الارض ١٥٠ مليون سنة وما زالت في احسن حال . وقد عرضت في متحف معهد الجيولوجيا في اكاديمية العلوم الليتونية .

● ادعى العالم سايروس هـ. غوردون من جامعة براندايس انه حقق اكتشافين يتعلقان باللغات الغامضة التي كان يتكلمها سكان جزيرة كريت الاقدمون . ووصف الاكتشافين بانهما « اكثر اهمية بالنسبة الى المؤرخين من مخطوطات البحر الميت» . واعلنسايروس الذي يرئس دائرة دراسات اثار البحر الابيض المتوسط في تلك الجامعة انه تبين نتيجة للاكتشافين ان الثقافتين اليونانية والعبرية انبثقتا من مصدر سامي مشترك وانتشرتا في جميع ارجاء المنطقة الشرقية للبحر المتوسط وذلك في العصر البرونزي .

● اعلنت دائرة الاثار اكتشاف موقع لاحد المعابد الاثرية وقلعة يونانية تعود الى القرن الثالث ق.م. وذلك خلال اعمال التنقيب التي تقوم بها حاليا بعثة اثرية دنمركية في جزيرة فيلكا القريبة من الكويت . كما ادت اعمال التنقيب التي تجري في موقع معبد قديم في مدينة يعود تاريخها الى ٣،٠٠٠ سنة الى اكتشاف ثلاثة مذابح حجرية وقرابين حجرية وبرونزية ومباخر . واكتشفت الى جانب هذا المعبد مبان مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها ٣٠ ياردة .

● اكتشفت بعثة الاثار الروسية التي تقوم بالحفر شمال منطقة « الدكا » في النوبة مجموعة من الاثار النادرة للعصر الحجري القديمترجع الىالعصرين الاشوري والموستيري. ومعروف ان اثار هذين العصرين لم يعثر الا على القليل منها في بلاد النوبة .

● اعلنالعالم ب. س. موليسون عناكتشاف حيوان بحري ليس له عظام ولا عينان عند ساحل تسمانيا الغربي غير الماهول . وقال : ان الوحشيبلغ طولهحوالي ٥ امتار ونصف، وعرضه ٤٦ سنتمترا ، وسمكه حوالي متر ونصف ، وانه يزن اكثر من خمسة اطنان . واضاف انه لا يوجد ما يدل على وجود عينين او اعضاء اخرى لهذا الوحش البحري كما ان البعثة لم تعثر على اية عظام او مادة عظمية في جسم هذا الوحش الذي عثر عليه في حزيران ١٩٦١ . وقد اخذت نماذج من الوحش لاجراء تحليل كيماوي عليها ويعتقد العلماء ان هذا المخلوق يستحق اجراء دراسة علمية اخرى عليه .

● اسفرت تنقيبات تقوم بها بعثة عراقية في احد المعابد الاغريقية عن اكتشاف ثلاثة نماذج مصغرة لطراز من المباني كان شائعا في عهد تاسيس الحضر في القرن الاول للميلاد . وذكرت مصادر مديرية الاثار العراقية ان هذه النماذج تكشف النقاب عن طراز القباب التي كان سكانتلك المدينة التجارية يقومون ببنائها في ذلك الوقت . وقد صمم كل واحد من هذه النماذج على شكل مكعب قاعدته ٣٠ سنتيمترا وارتفاعه ٤٠ سنتيمترا . وقررت مصلحة السينما والمسرح العراقية التابعة لوزارة الارشاد اخراج شريط سينمائي عن موقع الحضر يتم فيه تصوير المعابد الاثرية ونحو ٢٠٠ من التماثيل التي اكتشفتها هناك البعثات العراقية منذ عام ١٩٤٥ حتى الان .



وجـوه ...

•

شيئان لا يستطيع الانسان ان يشبع من تاملهما ، السماء ذات النجوم والوجه البشري .. انك تنظر ثم تعاود النظر ، فترى كل شيء ، ولكن السر يظل مجهولا .. ان الوجه البشري هو الزهرة الفريدة لذلك النبات المسمى بالانسان . الزهرة التي تتغير ملامحها من ضحك الى خـوف ومن تفكير الى جمود صامت يشابه احيانا صمت الطبيعة الميتة .

ومنذ عرفت نفسي ووجه الانسان في رأيي هو الضوء الذي يجذبني اكثر من أي ضوء اخر في العالم . واني لاعي مناظر ومدنا واستطيع ان احييها في ذاكرتي ما شئت واطيل مكثها امامي كما اشاء ، ولكـن وجوه الناس التي اشاهدها سواء اكان في الحلم أم في اليقظة تظهر لي كما يحلو لها ، تعيش بجانبي او تتلاشى على هواها الى الابد ، بحيث لا يصبح في وسع أي مجهود ان يستدعيها الى ذاكرتي ويحدث ان يطرأ وجه وحيد ، ويهيم امامي طويلا ويحجب العالم المرئي كله او تتدفق مئات والوف الوجوه كالسيول التي تهدد بالاكتساح . وليس لحديثي وحسابي مع وجوه الناس نهاية . فعليها ترتسم بالنسبة لي كل طرق العالم ، كل ما يخطر بالبال وكل ما تعتمل به الرغبات والحاجـات الانسانية كل امكانيات الانسان ، كل ما يعتمد عليه ويرتفع به وكل ما يسمم حياته ويقتله . كل ما يتخيله الانسان ونادرا ما يحدث وقـد لا يحدث في النهاية ابدا ان اتذكر شكل هذا الانسان المحدد الملامح او اسمه او صوته . واحيانا تظهر امامي وجوه الناس مفردة او فـي مواكب . بعضها يبرز صامتا من تلقاء نفسه او بدافع اجهله ، وبعضها يظهر بكلمة او جملة سمعتها . كان هذه الكلمة او الجملة كانت اشارة متفقا عليها .

من هذه الوجوه فلاح قد تجاوز سن الشيخوخة . يشقق وجهـه العمل والقلق والشمس والامطار والرياح والجليد ، والشد عـلى الاسنان والتشنج من المجهود الذي يتكرر باستمرار ويصبغه التعـب بلون الارض السمراء او الحمراء الفاقعة ، التي ينحني عليها كثيرا . وتظل عيناه ترمشان كانه يحميهما من القيظ الشديد او الصقيع او العاصفة الثلجية .

وقبل ان يتجاوز هذا الفلاح اربعين عاما كان قد تشكل واكتمل بحيث اصبح جلده خشنا اسمر ، وارتسمت العضلات بشكل واضح ، برزت الترقوه وتجعدت الرقبة وتخددت ، اما العينان فلا تبصران كما كانتا في الشباب في توازن تام بل تشقان طريقهما بصعوبة .

وقد اكتمل كل شيء وتباين بعضه عن بعض ، وزاد على ذلك كله توازن سنوات الرجولة وهدوئها .

ـ لماذا تطردني ؟

اسمع هذا واشاهده . وارى المخزن القديم المكتظ بالفضلات المتنوعة ، يقف على بابه الواسع صاحبه ماركو الذي لا ارى الا ظهره ولكني ارى بوضوح اكثر رجلي بنطاونه المصنوع من الجوخ وحذاءه التركي الطراز ، وكان عمري لم يتجاوز ستة اعوام ، وانا اجلس على الطريق ويداي ممتلئتان بالبرقوق المجفف ويتغير المنظر لارى عاملا قصيرا بعض الشيء ، صغير القامة ، ببدلة مرقعة ممزقة ايضا وبهـذه البدلة وسلوكه كله لا يبدو قرويا ولا عاملا من المدينة ولا متسولا ولا عبيطا ولا رجلا ذا مكانة معينة في المجتمع . وهكذا وجهه ، لا يبدو عليه شيء ، وجه متقلص ، رمادي اذا صح تحديد لونه ، ولا يمكن تحديد سنه ، ولا يظهر عليه شيء الا بلاهته الوديعة . امـا العينان والانف والفم والذقن فكلها موجودة ولكن ليس لها سمة مشتركة الا الشقاء .

وليس السبب هو المرض او الجوع او الفقر ، وانما هو كل هـذا بأسره ، مجمعا من جيل لاخر مضغوطا في تعبير خاص للشقاء ذي المائة سبب .

وسأل الرجل « ماركو » :

ـ لماذا تطردني ؟

ويجيب المالك ماركو بهدوء وايجاز قائلا « لست أهلا .. للعمل عندي » .. فيقول الواقف امام الباب : « لست ، اعلم اني لست ».. كان يجيب وهو اكثر انخفاضا من الارض التي نطؤها .. صغيرا الـى حد العدم ، خاضعا لا لهذا السيد بل لشقائه الابدي اللانهائي .

« لست » . ويكرر وكأنه لا يستطيع ان يربط على الفور بين فكرتين بسيطتين ، ويستخرج النتيجة ويضيف في بلادة وحزن لماذا تطردني ؟

ولكني لم احفظ بقية الحديث ، ولم اعرف اذا كان المالك والاجـير قد وصلا الى حل . وهكذا على الباب الواسع وفي تيار نوفمبر وقف الاول مديرا ظهره لي والاخر مديرا وجهه ، وجه شقاء الانسان الذي لا يمكن وصفه او محوه من الذاكرة .

قبل عدة سنين ، على شاطىء الاطلنطي وقف جندي قصير القامـة وعلى كتفه الايمن قذيفة لم تنفجر. استخرجوها منذ قليل من الرمال . وهو منحن بعض الشيء تحت العبء ولكنه شاب ، متين البنيان . كأنه يحمل الموت بنفسه على كتفه . ويطأ الارض بأهدأ واخف ما يمكـن ويخطو خطوات قصيرة وغريبة في حذر شديد كأنه يمشي فوق سلك . اما الوجه فقروي جامد ، جعلته هذه اللحظة اكثر انسانية واكثر



اصفرارا . وفي لحظة الاصفرار هذه يشعر بالخوف الذي لم يتغلب عليه وبحتمية الواجب في نفس الوقت اي الرغبة في الا يبقى مدينـا للحياة والا يصبح فريسة للموت .

اننا كلنا ككل كائن حي نناضل الموت كل لحظة ، وعلى هذا النضال ينعكس على وجوه الناس في التعبيرات التي لا تحصى ولا تعد صورها . لقد رأيت كل هذا النضال الانساني مجملا وفي صورته الاكثر انسانية على وجه الجندي الذي كان يحمل على كتفه القذيفة التي لم تنفجر مؤديا واجبه .

ووجه اخر ايضا .

« استغفر الله » . يقول احدهم ، ولكن لا يقول ذلك هذا الوجه ، بل احدى النسوة المتدثرات اللائي يقفن في الفناء ، تتقارب رءوسهن ويتهامسن . ولا يصحب هذا الوجه صوت او حركة . ولا اراه الا في هدوئه وجموده .

كانت ممثلة ، وكانت تسكن في نفس الطابق معنا . وكان سني حوالي ثمانية او تسعة اعوام . وكانت المرأة الجميلة الصغيرة السن ترسلني من حين لاخر لاشتري لها السجائر او لارسل الخطابات الى البريد . وكان جزائي ملبسة كبيرة ذات رائحة طيبة من الصندوق السحري فضلا عن رؤية الممثلة .. كانت تتركني اجلس وقتا ما على كرسي صغير من القطيفة الصفراء بجانب متكئها ، لانها كانت تستلقي باستمرار على هذا المتكيء وكنت اجلس وانظر في اعجاب الى وجهها الذي لن انساه قط . وكان في ملامح هذا الوجه شيء من النعاس والشرود ، وكانت العينان تشغلان اكبر مساحة فيه . وكانت عيناها غامقتين لا فاحمتين تماما ، تقطعهما من آن لاخر انعكاسات ضوء ما ازرق مثل الياقوت مرة وذهبيا غامقا اخرى ، وفي بعض اللحظات كان ينطفيء كل هذا وتصبح عيناها البارزتان بعض الشيء مطفأتين وغير مبصرتين كعيني التماثيل القديمة .

كانتا غير عاديتين ، متلالئتين ، قصيرتي النظر وغير متحركتين تقريبا ، تضيئهما وتطفئهما من داخل نفسها حسب قواعد اخراج معروفة لديها فقط . العينان اللتان لم ترد ان تنظر وتبصر بهما بقدر ما ارادت ان تعمي بهما غيرها وتفتنه . وكنت انظر اليهما باعجاب الطفولة البريء ولكن ليس طويلا . ففي هذه السنة نفسها التي استقرت فيها وفي منزلها نفسه قتلها شاب ، ابن ثري باربع رصاصات من المسدس الصغير .

واتت وراحت لجان . ونقلت الممثلة الى المشرحة ودفنت ، من يعرف أين ؟ ووضعت الاختام على باب منزلها . وتهامست النساء في الفناء « استغفر الله » والشيء الوحيد الذي بقي من الممثلة لمدة طويلة هو العينان غير العاديتين في ذاكرة الصبي .

وهكذا باستمرار .. وجه فآخر . ويخطر لي وجه جديد ، احب ان اقول عنه شيئا .. ان اطيل دوامه لطرفة عين فقط ولكنه يتضاءل ويغيب قبل ان ابصره جيدا . وتتلوه اخرى بسرعة ، تتدافع ، تقفز بعضها امام البعض ، وتتوالى وتدخل في نفسي . واما انا فلم اعد انا ، بل فراغ صامت لا اسم له ، تعبر فوقه وجوه الناس في مواكب عاصفة بسرعة خاطفة على شريط الضوء الذي ليس له بداية ولا نهاية الى درجة اني اتوه فيها صامتا ، بلا شكل كأني في وسط عاصفة ثلجية .

(الاهرام)

ايفو اندريتش

•

الفن بين العلم والخيال

للاله « سيفا » عين ثالثة يصورها الهنود في ناحية من جسمه ، هي البصر الباطن ، البصر اللماح الى حقائق تسترهـا الخارجيات بكثافتها : الخيال اللقاط وهو يجول في مشارف اللطائف او يغوص في بحار الاسرار .

« عين التامل » على حد قول ذلك الافريقي القديس اوغسطين .

« عين التامل » على حد قول ذلك الافريقي القديس اوغسطين .

« مشاهدة القلوب » في مصطلح المتصوفة العارفين بالله ايام حلق الفكر عندنا .

ليس للزمان ولا للمكان حدود عند اهل الفن في الهند قديما ، ومـا الكون سوى كل قائم بوحدة كاملة الفت سرا بين حياة الحيوان والنبات والمعدن : الواقع انسجام نزعات تدور خفية حول جلال الالهة .

تلك هي لغة الشرق ، قذفت بالانسان في اللانهاية فكسرت الحواجز بين الذات والموضوع ، واقامت المعرفة ـ بل العرفان ـ على المحبة الواغلة في ثنايا الضمير الكلي حتى ان الفناء هنا والبقاء هناك توافقا في طريق واحدة .

اما الغرب فحدد الكون حتى ينفذ الى جنباته بسهام ذهنه . ولكي يحكم النفاذ علا على الكون ليجعله مسرحا لبحثه ، وهكذا غلب النظر المباشر على التفرس والحساب على التحسس . فخرج الكون على يديه مجموعة اشكال مفصلة في حيز محدد لا شبكة خطوط تتخطى النهاية وينساب فيها سعي البشر .

من هنا ركض الغرب الى الالة وتوانى الشرق عنها .

منذ القرن التاسع عشر ملكت الالة ناصية الحركة في الغرب حتى اصبح محور التفكير ورائده معا ، فطاطات لها العزمات وصار الانسان الى تقدير الاشياء وتبويبها ثم فحص مظاهرها لتكوين الاشكال وتوجيـه نشاطها الكامن الى اغراض محسوسة معلومة .

ومن نتائج الالية : السرعة والرتابة والتشابه مع استغناء عن الروية وحذر من بدوات الشخصية . فجعلت مختزنات الضمائر ونضبت عيون التجديد ، مما جعل المرء يعمل ولا يجد ذاته في عمله ، فضعفت ملكـة الابتداع وشحبت القدرة على التنويع والتلوين .

على ان الفن وليد الحياة واخوها في آن واحد . والفنان في الغرب موصول ببيئته ، وقد مضى الزمن الذي كان فيه يعتزل الكتلة ليخـلو الى التجربة ـ الدين يستلهمهما التعبير . اذن لا مفر له اليـوم من الخوض في مجال الالة القلابة ؟

فكيف يبتدع ومن اين له ان ينوع ويلون ؟ هل يدع القديم الانسانية تذوب في مصاهر الحركة العمياء فيتوحد الشعور وفقا لقواعد ربطها العقل ، العقل الذي يلح في استغلال المادة على حساب التطلع والتامل؟

بهذه المصاهر رضي الفريق الاكبر من الفنانين في الغرب ثم راحوا يعالجون آنفه الشعور المتوحد وتلفه باختراعات في الاداء محض ذهنية مستمدة من سلطات العلم ، من ذلك مذهب المكعبية . ورأت فئة ان تواجه الالة بقوة فلم يفلح الا من طوعها لريشته او لازميله فاستطـاع ان يستخرج من صمتها قيما تدخل في رحابه الكون الفعال ، نحو ما فعل الرسام الفرنسي فرنان ليجيه .

غير ان فريقا في ازدياد فطنوا للخطر عمد بعضهم الى الاسترشاد باساليب الشرقيين ، فاخذ هذا خطوط الرسم الصيني تلك التـي تتهالك في سريانها تريد ان تنحل في زيفان اللانهاية ، واخذ ذاك مـن اندفاعات الخط الكوفي هندستها الروحانية ، واخذ ثالث من النحت الهندي تعدد الحنايا في الجسم الواحد كأن الجوارح والضلوع تجاوب ذبذبات الفضاء ورفض بعضهم بيئتهم فهجروها بقولهم وخلصوا قلوبهم في شمخة العلم ليهيموا في مسارب الافق المجهول ، وهكذا جاءوا بالفن التجريدي قوامه الخيال المنسرح والذوق المتوقد .

... اما فنان الشرق فله سلاحه يوم تتسلط الالة في اقليمه . له ان يستعصم بسلامة تقاليده ، على شرط ان يجد في التجدد اداة عين التامل .

(الاهرام)

القاهرة — **بشر فارس**

اليانصيب الوطني اللبناني

نصير الطبقة العاملة

* * *

اليانصيب الوطني اللبناني

خير ضمان لمستقبل اولادكم



* * *

اليانصيب الوطني اللبناني

يحقق احلامكم

* * *

ساهموا بمشترى اوراقه

الجوائز الكبرى

٥٠،٠٠٠ ل.ل ٣٠،٠٠٠ ل.ل ٢٠،٠٠٠ ل.ل



مارس ١٩٦٢

١٣ ـ فرض كاسترو تقنيناً شديداً للاطعمة.

ـ اعلن كنيدي ان امريكا مستعدة لتنفيذ اية تدابير توافق عليها لجنة الدول الـ ١٨ لنزع السلاح

١٤ ـ اجتمع ناظم القدسي وعبد الكريم قاسم على الحدود السورية العراقية .

ـ عقد مؤتمر نزع السلاح في جنيف بحضور ١٧ دولة .

ـ توفي في طهران آية الله الكاشاني الزعيم الروحي والسياسي الايراني .

ـ تشومبي يوضح بان اجتماعه غدا بادولا في ليوبولدفيل ليس للاستسلام بل لمحاولة انقاذ البلاد .

١٥ ـ افتتح في الخرطوم مؤتمر مكاتب مقاطعة اسرائيل التابعة لدول الجامعة العربية.

ـ وصل المارشال مالينوفسكي وزير الدفاع السوفياتي الى الرباط في زيارة صداقة .

ـ شكل الملك سعود وزارة جديدة عين الامير فيصل نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية ومخولا سلطة ترؤس الاجتماعات الوزارية .

ـ الغرب والشرق يتبادلان الحملات والمقترحات في مؤتمر نزع السلاح .

ـ وصل تشومبي الى ليوبولدفيل للاجتماع بادولا .

١٦ ـ صدر بلاغ عراقي سوري مشترك عن محادثات قاسم والقدسي في الرطبة وقد دعا الرئيسان الى مؤتمر عربي واقترحا صيغة تعاون عسكري اقتصادي سياسي واستنكر مشروع الهلال الخصيب وسورية الكبرى . واكد عدم اخفاق الجامعة العربية .

ـ وقع اشتباك بين الجانبين المصري والاسرائيلي في قطاع غزة .

ـ اضراب وحملة استنكار وحداد في الجزائر بعد اغتيال المنظمة السرية لستة رجال بارزين . ضحايا المنظمة يسقطون قتلى يوميا بالعشرات .

ـ احتجاج كويتي الى امين الجامعة العربية على خطاب اللواء قاسم الاخير بشان الكويت .

ـ اعلن خروشوف : اطلقنا سفينة فضاء جديدة . وتوصلنا الى صاروخ كوني يستطيع ضرب اي هدف .

ـ رئيس جمهورية غواتيمالا يهدد بسحق الثورة ضده ويتهم الشيوعيين بتدبيرها .

١٧ ـ معركتان بين الجيش السوري والاسرائيلي . رد السوريون هجومين تدعمهما الدبابات ثم الطائرات . دمشق تعلن ان الاسرائيليين تركوا ٢٧ جثة . قدمت سورية شكوى لمجلس الامن متهمة اسرائيل بالعدوان .

ـ اقترح كنيدي على خروشوف برنامجا للتعاون في ميدان الفضاء .

ـ روسيا تقترح على بريطانيا مطالبة امريكا بالكف عن التدخل في فيتنام الجنوبية .

١٨ ـ ابلغ ديغول فرنسا ان اتفاقية وقف القتال في الجزائر قد وقعت ودعا الشعب الفرنسي الى الموافقة عليها .

١٩ ـ تم تنفيذ اتفاق وقف القتال في الجزائر الذي وقعه الوفدان الجزائري والفرنسي في ايفيان . دعا بن خده جيش التحرير الى البقاء في حالة الطوارىء لمواجهة اعتداءات الجيش السري . اضرب المستوطنون الاوروبيون في الجزائر احتجاجا على الاتفاق. دعا ديغول فرنسيي الجزائر الى تفهم الوضع ومساعدة الجزائر على نيل استقلالها . وصل بن بلا ورفاقه الذين كانوا معتقلين في فرنسا الى الرباط بعد ان اطلق سراحهم .

ـ اعلن الاتحاد السوفياتي في مؤتمر جنيف استعداده للعودة الى مفاوضة امريكا وبريطانيا وفرنسا على عقد اتفاق تحظر بموجبه التجارب النووية .

ـ فاز انصار بيرون رئيس الارجنتين السابق في الانتخابات النيابية والاقليمية بثلث مجموع اصوات الناخبين .

٢٠ ـ انفجر الارهاب في الجزائر على يد منظمة الجيش السري بابشع صوره . واستخدمت المنظمة مدافع الهاون في الجزائر ووهران عدد الضحايا ٦٥ من الجزائريين .

ـ بورقيبة يرجو حل قضية بنزرت قريبا ويعلن ان تونس ساهمت بمنع تقسيم الجزائر.

ـ اشتباك جديد سوري اسرائيلي في طبريا .

ـ تشومبي يطلب الاعتراف بسلطته الداخلية على كاتانغا كلها لقاء انهاء الانفصال .

ـ دعت ثلاثة احزاب في غواتيمالا الى استقالة الرئيس فوينتيس وقيام حكومة مدنية عسكرية لاعادة النظام الى البلاد التي اجتاحها اضراب عام .

ـ اعلنت فرنسا انه سيجري الاستفتاء على تقرير المصير في الجزائر في اخر يوليو المقبل

ـ مصادر الحكومة الارجنتينية تنفي استقالة رئيس الجمهورية فروندیزي . والعسكريون منقسمون في اختيار من يخلفه .

٢١ ـ اعلنت سورية ان ٤ طائرات اسرائيلية اخترقت جوها وبعد معركة خاطفة اسقطت طائرة اسرائيلية واصيبت اخرى .

ـ اعرب خروشوف في رده على اقتراح كنيدي عن استعداده للتعاون الفضائي وقال ان مفتاح هذا التعاون مرتبط الى حد ما بعقد معاهدة نزع السلاح .

ـ مؤتمر نزع السلاح في جنيف يدعو فرنسا لاعادة النظر في قرارها مقاطعة المؤتمر .

٢٢ ـ اصدرت فرنسا عفوا عن المعتقلين الجزائريين السياسيين .

ـ شرحت سورية في مذكرة الى الدول العربية ودول مجلس الامن الاعتداء الاسرائيلي وغاياته وطالبت بالتدخل لتوقيفه .

ـ اجتمعت في الرباط حكومة الجزائر بكامل اعضائها وقد حضر الملك الحسن قسما من الاجتماع .

٢٣ ـ بعد تفاقم حوادث الارهابيين في وهران والجزائر اعلن ديغول انه يريد القضاء على الفتنة بلا رحمة .

ـ ازمة الحكم في الارجنتين تتعقد . انقسام في الجيش حول مصير فرونديزي .

٢٤ ـ الجيش الفرنسي يبدأ سحق المنظمة السرية . وزير استعلامات الجزائر يستعجل انشاء قوة امن جزائرية .

ـ اعلن اللواء قاسم انه سيتم تشكيل لجنة شعبية يعهد اليها وضع دستور دائم للعراق .

ـ الرسميون في اندونيسيا يعتبرون القوة العسكرية افضل وسيلة لاسترجاع ايريان الغربية ، وهم متشائمون من محادثات التسوية في واشنطن.

٢٦ ـ طلب ديغول من الفرنسيين تاييد اتفاقات السلم الفرنسية الجزائرية في الاستفتاء المقرر يوم ٨ ابريل وقال ان امام فرنسا اما طريق التطور او طريق الفوضى .

ـ فرضت على المارشال جوان الاقامة الجبرية في بيته بباريس . وفي الجزائر وقع ٦٠ قتيلا و٢٠٠ جريحا في اشتباكات بين الجيش والارهابيين . وما زال الجيش يحاصر ضاحية باب الواد معقل الارهابيين حيث يجري التفتيش واعتقال رجال منظمة الجيش السري . اعتقل الجنرال السابق جوهو ثاني زعيم للمنظمة ونقل الى باريس وهو محكوم عليه بالاعدام .

ـ تبادلت فرنسا وروسيا سحب سفيريهما بسبب اعتراف موسكو المبكر بحكومة الجزائر.

ـ فشلت المساعي التي بذلت للاتفاق على

حظر التجارب النووية .

٢٧ ـ تجدد اطلاق النار في مدينة الجزائر. الارهابيون يقصفون احياء وهران بالمدافع .

ـ يتابع ناظم القدسي المشاورات للخروج باتفاق على تشكيل حكومة سورية قومية .

ـ اقامت الولايات المتحدة اتصالا غير رسمي مع حكومة الجزائر الموقتة بعلم فرنسا.

ـ اعلن نكروما ان حكومته تسعى لتطوير غانا والسير بها نحو الاشتراكية .

٢٨ ـ انقلاب عسكري في سورية. استولى الجيش على السلطتين التنفيذية والتشريعية بعد حل المجلس النيابي وقبول استقالة رئيس الجمهورية والوزارة . القيادة العسكرية تعلن ان الحركة الجديدة هي استمرار لثورة سبتمبر الماضي .

ـ احتل الجيش الارجنتيني المراكز الاستراتيجية في العاصمة ووجه انذارا الى فرونديزي رئيس الجمهورية بالاستقالة .

ـ اجتمع مجلس الامن للبحث في الاتهامات السورية والاسرائيلية المتبادلة الناجمة عن القتال على الحدود في بحيرة طبريا .

ـ اذاع تشومبي ان كاتانغا مستعدة للتنازل عن بعض امتيازاتها بروح التفاهم والوحدة مع سائر اقاليم الكونغو . واضاف البيان ان تشومبي وادولا اتفقا على مواصلة محادثاتهما قريبا .

٢٩ ـ اصدر عبد الرحمن فارس رئيس الهيئة التنفيذية في الجزائر بلاغا قبل مغادرته باريس قال فيه انه طلب من وزير العدل الفرنسي الاسراع بالافراج عن المعتقلين الجزائريين تطبيقا لاتفاقات ايفيان .

ـ عزل جيش الارجنتين فرونديزي وسجنه في جزيرة نائية . وتسلم الجيش الحكم . وقامت مظاهرات تاييدا لفرونديزي .

ـ قمعت حكومة الاكوادور محاولة انقلاب عسكري .

ـ قطعت المفاوضات حول مستقبل ايريان الغربية بين اندونيسيا وهولندا .

٣٠ ـ تسلمت الهيئة التنفيذية زمام الادارة في الجزائر . الارهابيون يواصلون اعمالهم الاجرامية .

ـ نصبت قوات الجيش الارجنتيني رئيس مجلس الشيوخ جوزيه ماريا غيدو رئيسا للجمهورية . القيادة تعلن انسحاب الجيش الى ثكناته ولكن بعد فرض شروط على الرئيس غيدو .

ـ اعلن اللواء زهر الدين قائد الجيش السوري ان المسؤولين سيحاكمون امام محكمة الشعب التي ستشكل من عسكريين ومدنيين. وسيعاد النظر في القوانين التي صدرت .

٣١ ـ انعقد مجلس جامعة الدول العربية في الرياض .

ـ وصل القاهرة احمد بن بيلا ورفاقه الذين كانوا معتقلين معه في فرنسا وقد جرى لهم استقبال حافل .

ـ القاهرة تعلن اعتقال شبكتي تجسس جديدتين لاسرائيل .

ـ بن خدة يباحث بورقيبة بشان اتحاد اقطار المغرب العربي الكبير .

ـ انشقاق بين العسكريين في الارجنتين. احزاب تؤيد الرئيس الجديد ولكن معارضة قوية تواجهه .

ـ ادولا وتشومبي يواصلان محادثاتهما لتسوية مشكلة كاتانغا

ابريل ١٩٦٢

١ ـ ظهر انقسام بين قادة المواقع فيشمال سورية والقيادة العامة في دمشق

٢ ـ اذاعات « حركة الضباط الاحرار » في شمال سورية من اذاعة حلب تطالب بتطهير القيادة واعادة الوحدة مع مصر . عقد مؤتمر بين العسكريين في حمص اتخذت فيه مقررات لحل الازمة . ابعد ضباط الانقلاب الى سويسرا .

٣ ـ اعلنت القيادة في دمشق عودةالامور الى مجاريها مع ضمان تحقيق قرارات مؤتمر حمص .

ـ هاجمت المنظمة السرية في الجزائر مستشفى وقتلت ١٠ مرضى جزائريين . وتواصل المنظمةالسطوعلى المصارف والمحلات التجارية .

ـ قطعت الاكوادور علاقاتها مع بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وكوبا .

ـ وصل جان غولار رئيس البرازيل الى واشنطن في زيارة رسمية .

ـ اعلن وزير دفاع اندونيسيا ان عددا من الشبان الاندونيسيين نزلوا على طول ساحل ايريان الغربية .

٤ ـ وزير الانباء المغربي الذي يزور دكار يؤكد التعاون مع السنغال ويعد بتسوية المشاكل المعلقة بين البلدين .

ـ استرد الجيش الفرنسي مطار وهران من المنظمة السرية الارهابية . المنظمة تقصف احياء في الجزائر بقنابل الهاون .

ـ اعلنت بلغراد : تحسنت روابطنا مع روسيا ولكن ليس مع الصين الشعبية .

ـ صدر بلاغ مشترك عن اجتماع ديفول وفنفاني رئيس حكومة ايطاليا في تورينو يؤكد اتفاقهماعلى تقويةاتحاد اوروباالسياسي.

٥ ـ وصل احمد بن بيلا ورفاقه الى بغداد وجرى لهم استقبال حافل .

ـ انجز اول نفق بري يربط بين ايطاليا وسويسرا .

٦ ـ قدمت امريكا وبريطانيا مشروعقرار لمجلس الامن يعتبر عدوان اسرائيل على المواقع السورية خرقا صارخا لاوامر مجلس الامن . ويستنكر تبادل القتال ويدعو الى تاييد الاجراءات التي اوصى بها الجنرال فون هورن للمحافظة على السلم .

ـ وجه ديفول خطابا الى الفرنسيين اعلن فيه ان مستقبل فرنسا وقوتها في المقام الدولي يتعلق بالاستفتاء على قضية الجزائر.

ـ تمكن المقاتلون الاندونيسيون من اقامة ثلاثة مراكز لهم على شاطىء ايريان الغربية . واعلن ان الاتحاد السوفياتي يرسل الاسلحة بسرعة الى البحرية الاندونيسية .

ـ اسفرتاعمال العنففي الجزائر ووهران عن مقتل ٣٠ شخصا .

ـ وافقت وفود مؤتمر كينيا الدستوري في لندن على الاتفاقات لانشاء حكومة ائتلافية افريقية وعلى اطار دستور الحكم الداخلي .

٧ ـ افرجت القاهرة عن الدبلوماسيين الفرنسيين الاربعة الذين تجري محاكمتهم بتهمة التجسسوذلك بوقف المحاكمة. واتخذ القرار تاييدا للروح التي ينفذ بها ديفول اتفاق وقف القتال في الجزائر .

ـ ذكر في بغداد ان اللواء قاسم رفض اقتراحا بريطانيا باجراء استفتاء في الكويت التي يطالب بها العراق كجزء من اراضيه .

ـ قام المفوض السامي الفرنسي كريستيان فوشيه رسميا بتنصيب الهيئة التنفيذية المؤقتة في الجزائر .

ـ اعلنت اندونيسيا انها قبلت مبدئيا الصيغة الامريكية لاستئناف المحادثات مع هولندا حول ايريان الغربية .

ـ صدر بلاغ مشترك عن اجتماع اديناور وفانفاني اكد وجوب تعزيز السوق الاوروبية بوحدة اوروبية سياسية .

٩ ـ احرز ديفول انتصارا ساحقا في الاستفتاء على سياسته الجزائرية .

ـ ادان مجلس الامن اسرائيل بالاعتداء على سورية .

ـ قال بو رقيبة : وحدة المغرب العربي ضرورية ونعمل لها بجد .

ـ وقع ٢٦ قتيلا في الجزائر في سلسلة اعمال منظمة الجيش السري الاجرامية .

١٠ ـ عين عمرمقداد لقيادةالقوة الجزائرية التي ستشرف على الامن في الجزائر .

ـ وجه كنيدي وماكميلان اخر نداء الى خروشوف لقبول الرقابة الدولية وتجنب استئناف التجارب النووية .

مطبعة الغريب شارع هوفلين ـ بيروت ـ ت: ٢٤٦١٨٥